

الكنيسة المصرية في رسائل العيد للقدّيس أثناسيوس الرسوليّ بابا الإسكندرية

الخوري بولس الفغالي^٥

دأب أساقفة الإسكندرية، منذ مجمع نيقية^(١) الذي كلّفهم تكلينًا رسميًا، على تحديد التاريخ الذي فيه تعيد الكنيسة عيد الفصح، كل سنة. وما كانوا يقتصرون على بعض عبارات صغيرة، بل كانوا يرسلون كل سنة رسائل «رعائية» بتوجه إلى الأساقفة المؤمنين في الأبرشيات المرتبطة بكرسي الإسكندرية، كما يرسلون إلى البطريركيّات الكبرى في رومية والتسطنطينية وأنطاكية وأورشليم. هذا ما يُسمى رسائل العيد^(٢). أزل أثر نجده وجّهه ديمتريوس (١٨٨-٢٣٠) إلى أورشليم وأنطاكية ورومة^(٣). وتبعه ديونيسيوس وبطرس وصولًا إلى كيرلس الذي احتفظت لنا

(٥) باحث في الكتاب المقدس وآباء الكنيسة الشرقية.

(١) رج ما قاله أثناسيوس في رسالة إلى أساقفة أفريقيا (الآباء اليونان ٢٦ : ١٠٣٢). عُقد مجمع نيقية من أجل حلّ الأزمة الأريوسية، ومن أجل تحديد الفصح عيدًا يحتفلون به في يوم واحد وفي الأرض كلّها.

(٢) *Letres festales* رج أوسابيوس، التاريخ الكنسي ٧ : ٢٠ الذي يذكر ديونيسيوس، أسقف الإسكندرية (٢٤٧-٢٦٥)، وليرونيمس، الرجال المعظم المقطع ٨٧. وقال يوحنا كاسيانس عن عادة أساقفة الإسكندرية أن يرسلوا رسالة رعائية في هذا الشأن بعد عيد الفصح، يحدّدون فيها زمن الصوم المقدس وعيد الفصح، لا من أجل جميع المدن، بل جميع الأديرة أيضًا.

(٣) Cyrille d'Alexandrie, *Letres festales* (I-VI), SC 372, Paris, 1991, p. 95-96.

المقال ١٠ : ٢ في CSEL XIII, p. 286-287

المخطوطات منه بتسع وعشرين رسالة تُعلن زمن عيد الفصح من سنة ٤١٤ إلى سنة ٤٤٤^(٤). أما نحن، فتوقف بشكل خاص عند الرسائل التي حفظها لنا التاريخ من أثناسيوس الذي خلف الإسكندر على كرسي الإسكندرية سنة ٣٢٨^(٥).

١ - اللائحة السريانية

كسب أثناسيوس في اليونانية، ولكن رسائله كانت تترجم، شأنها شأن رسائل كيرلس بعده، إلى السريانية كما إلى اللاتينية^(٦). أما في السريانية، فنقرأ لائحة تشير إلى الشهر الفصحى لكل من السنوات والآيام، و«إينديطيون»^(٧) والقنصل الروماني، ومدبر الإسكندرية،

(٤) المرجع السابق ص ١١٣. رُفقت هذه الرسائل من ١ إلى ٣٠. سُفقت كيرلس في ١٧ تشرين الأول سنة ٤١٢. فلم يبعث برسالة سنة ٤١٣. كما أنه لم يرسل رسالة سنة ٤٤٣ ولا سنة ٤٤٤، حيث توفي في ٢٧ حزيران.

(٥) J. Quasten, *Initiation aux Pères de l'Eglise*, vol III, Paris, 1962, p. 463. تاريخ النكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المكتبة البولسية، ٢٠٠١، ص ٤٥١-٤٧١.

(٦) إعتذر إيرونيس في إحدى رسائله بأنه تأخر في ترجمة رسالة تيرفلس لفصح سنة ٤٠٤.

Jérôme, *Lettres*, éd. J. Labourt, CUF Paris, TV, éd. Hilberg, CSEL LX, p. 159-181.

رج نشرة إنيك مرتين لكردكس فيرونا ٦٠ الذي يعود إلى القرن الثامن في *Histoire acéphale*, SC n° 317, Paris, 1985, p. 138-169.

(٧) في الفرنسية: *Indiction*: الرتبة التي تحلها سنة في حجة تألف من خمس عشرة سنة في إطار الحساب الكنسي. تشير هنا إلى المحاولات التي قدمت حساب السنوات من أجل الاحتفال بعيد الفصح. مثلاً: جعل ديمتريوس الإسكندراني هذه الحجة تمتد إلى ثمان سنوات، وهيبوليس الروماني إلى ست عشرة سنة، وبطرس أسقف الإسكندرية إلى تسع عشرة سنة. راجع حاشية ٣، ص ٧٦-٧٨.

والأناقة أو قاعدة انقمر^(٨) وكل ما يُسمى آلهة^(٩)، والسبب الذي لأجله لم تُرسل الرسالة أو أرسلت من أرض غريبة^(١٠). يبدأ نصّ اللاتحة كما يلي: «من رسائل العيد»^(١١) للبابا^(١٢) أنثاسيوس^(١٣).

(٨) هدف ا ق ط ا، في السريانية. في اليونانية Epaktai (hemera) أو الأيام التي تنساف على السنة القمرية لتوافق مع السنة الشمسية. وحين يعرف الفلكي هذا، يعين عمر القمر في الأوّل من كانون الثاني، ويعتبر أنّ القمر الجديد هو صفر وبعده تسير السنة مسيرتها.

(٩) هي الآلهة الكواكب السبعة التي بها ارتبطت أيام الأسبوع. الشمس لليوم الأوّل (dies solis). والقمر (dies lunae, Lundi) لليوم الثاني، (Mardi, Mars) للثالث أو الثلاثاء. (Mercre, Mercredi) للربيع أو الأربعاء، للخميس أو الخميس (Jeudi, Jupiter, Jovis)، للسادس أو الجمعة (Vendredi, Venus)، للسابيع أو السبت (Samedi, Saturne, Saturday). هي قسمة قديمة لأسبوع في سبعة أيام، تعود إلى بلاد الرافدين واستعملها اليهود. ولكنّها لم ترتبط بعلم الفلك إلّا في القرن الثالث ق.م. وأخذ بها المسيحيون رغم ارتباطها بالآلهة الوثنية، ولكنهم بدّلوا اسم اليوم الأوّل فصار يوم الربّ dimanche, dies dominica.

Boll, «Hebdomus» in *Real-Encyclopädie der classischen Altertumswissenschaft*, 7/2/1912/ p. 2547 – 2578.

W. et H. Gundel, *Planeten*, 20/2, 1950, p. 2017-2185.

(١٠) مثلاً، كان أنثاسيوس، سنة ٣٤٣ في Sardique (تركيا)، سنة ٣٦٤ في أنطاكية.

(١١) في السريانية: اغرت ا. ع ا د ن ي ت ا: الرسائل العيدية.

(١٢) هو الاسم الذي يحتفظ به إلى اليوم بطاركة مصر. وهو يقابل «أسقف» في التاريخ اللامعّون». *Histoire acéphale*, 5, 14 (SC 317, p. 169)

٥: ٤: نقرأ: «توفّي أنثاسيوس في اليوم الثالث من شهر بخوم وقبل وقاه بخمة أيام رسم بطرس أسقفًا epsicopus وهو من القسّس القداماء، الذي يتبعه في كلّ مكان، ثمّ دبر الأسقفية (الأبرشية). بعده، تسلّم أخوه تيموتاوس الأسقفية، أربع سنوات. وبعد هذا الأخير، رسم الشماس تيوفيلس بابا papa أي أسقف

Histoire acéphale, 5, 14 (SC 317, p. 169), epsicopus

نشير هنا إلى أنّ لاتحة «الرسائل العادية» للقديس مار أنثاسيوس سنة ٣٦٣، تذكر ٧ بخوم أي ٢ أيار.

(١٣) هنا هو عنوان النصّ السرياني لرسائل العيد «للقديس مار أنثاسيوس». ترجمة

Micheline Albert, *Index syriaque des lettres festales, d'Athanase d'Alexandrie*,

SC 317, Paris, 1985, p. 224-225.

ويتابع النص السرياني: «رسائل العيد لأثناسيوس، أسقف الإسكندرية، التي أرسلها كل سنة إلى كل المدن، كل الأبرشيات الخاضعة له أي من بتابوليس وليبيا إلى أمونياقي والواحين الصغرى والكبرى، ومصر وأغوستاميني مع القسمات^(١٤) وتيايس^(١٥) العليا والوسطى، من السنة ٤٤ لزمَن ديوقليطائُس، التي فيها كان عيد الفصح في التاسع عشر من فارموتي، في الثامن عشر قبل غرة^(١٦) أيار في الثامن عشر من الثمر. يوم ترك الإسكندر سابقه الحياة في الثاني والعشرين من فارموتي، جلس (أثناسيوس) على الكرسي (الأسقفية) في الرابع عشر من فاهوني في الإينديقطيون الأولى، في قنصليّة أيانوارنس ديوسطس. وكان المدير^(١٧) زناوس (الإيطالي) حاكم^(١٨) مصر في الأناقة^(١٩) الخامسة والعشرين في الأوّل لما يُسمّى آلهة^(٢٠).

ماذا نكتشف في هذا النص الذي أرسل سنة ٣٢٧-٣٢٨ الذي يقابل سنة ٤٤ للإمبراطور ديوقليطائُس؟ إنَّ أثناسيوس، أسقف الإسكندرية، يبحث برسالة كل سنة إلى الأماكن الخاضعة له. سواء كانت المدن أو الأبرشيات التي كانت في الأصل مقاطعات إدارية قبل أن تصبح تسعة لتسيمات كنيّة. ويذكر أوّلًا بتابوليس أو المدن الخمس أو بلاد القيروان على الشاطئ الإنريقي^(٢١). ثمّ ليبيا السقلى ومصر والمقاطعة التي عاصمتها تيبة، في مصر الجنوبية. تلك هي مقاطعات أربع استحدثها ديوقليطائُس (٢٤٥-٣١٣). وبعد سنة ٣٤١، أُضيف إليها القسم الشرقي

(١٤) Nome من اليونانية nomos: تسعة إدارية عرفتها مصر القديمة.

(١٥) Thèbaïde القسم الجنوبي في مصر (عاصمتها تبة) حيث ازدهرت الحياة الرهبانية بشكل خاص.

(١٦) Calendes اليوم الأوّل في الشهر، عند الرومان.

(١٧) «م د ب ر ن ا» في السريانية.

(١٨) Eparque يقابل رئيس أبرشية على المستوى الديني.

(١٩) Epacte رج حاشية ٨.

(٢٠) حاشية ١٣، ص ٢٢٤-٢٢٧ (النص السرياني ويقابله النص الفرنسي).

(٢١) تقابل الجزء الشمالي الشرقي لليبيا الحالية.

من مصر (أغوستامنيقي) (٢٢٢).

وذكرت بعد ذلك أسماء قديحة لوحداث إدارية مثل أمونياقي أو واحة
أمون، التي ارتبطت بليبيا، والتسمات السبع (٢٢٣) الواقعة جنوبي الدلتا،
والتي ارتبطت أربع منها بمصر ثم بقسمها الشرقي (٢٢٤)، وثلاث بمنطقة
تية (٢٢٥). وذكر النص أيضًا الواحة الصغرى، وهي قسمة إدارية ارتبطت
بمصر، والواحة الكبرى التي ارتبطت بتبائيس. وأخيرًا، تقسيمات
تبائيس العليا والسفلى التي تشهد النصوص بوجود حاكم عليها منذ سنة
٢٩٨-٣٠٠ (٢٢٦). ودُعيت تيبائية السفلى هنا، تيبائية الوسطى لكي تعارض
الأرض السفلى، أو الدلتا، التي ستذكر سنة ٣٣٤ (٢٢٧).

وتحتد يوم العيد. في ١٤ نيسان سنة ٣٢٨. نشير هنا إلى أن حساب
الأعياد المعمول به في الإسكندرية هو حساب التسع عشرة سنة، الذي
أطلقه أناتوليس، أسقف اللاذقية، في منتصف القرن الثالث، وأصلح فيما
بعد. إن هذا الإصلاح الذي ربط زمن الفصح بزمن ديوقليطانس، يُنسب
إلى بطرس، أسقف الإسكندرية، في مقال حول الفصح، حيث السنة
الأولى في الدورة الجديدة تتوافق مع بداية السنة المدنية (واحد تحوت)
للسنة العشرين لهذا الإمبراطور، أي سنة ٣٠٣-٣٠٤. في الواقع، يعرّد

J. Lallemand, *L'administration civile de l'Égypte, de l'avènement de* (٢٢)
Dioclétien à la création du diocèse, Bruxelles, 1964, p. 41-55.

(٢٣) Heptanomia رَج حاشية ١٤.

Augustamnique (٢٤)

H. Gautier, *Les nomes d'Égypte*, Paris, 1935, p. 175. (٢٥)

T. C. Skeart, *Papyri from Panopolis in the Chester Beatty Library*, Dublin, (٢٦)
1964, I (295) L 5, 7-9, 18, 25, 78, 79;

H.L. Bell, V. Martin, E.C. Turner, D. Van Berchem, *The Abinnaeus Archive*,
Papers of a Roman officer in the Reign of Constantius II, Oxford, 1962, p.
36 n. 5.

(٢٧) راجع حاشية ١٣، ص ٢٣١ حيث نعرف أن أثناسيوس زار «الأرض السفلى» (ا ت ر
ا. ت ح ت ي ا) قبل أن يُدعى إلى سيندس في فيصربة فلسطين.

هذا الإصلاح إلى سنة ٣٢٣^(٢٨) كسنة أولى في دورة تمتد على تسع عشر سنة، أي في عهد الإسكندر، خلف بطرس على كرسي الإسكندرية، وبعد اضطهاد سنة ٣٠٣-٣١٢ الذي ليس بالزمان المؤاتي لمثل هذا الإصلاح الليتورجي. وجاء التطبيق سهلًا جدًا بحيث كان زمن الفصح هو هو في الكلدانين خلال السنوات الست الأولى، أي من سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣٢٨.

لا شك في أننا لنا هنا أمام الرسالة «الفصحية» الأولى من رسائل العيد لأثناسيوس، لأن الإسكندر سلفه كان بعد حيا، وقد توفي في ١٧ نيسان، أي بعد عيد الفصح بثلاثة أيام. ولم يجلس أثناسيوس على كرسي الإسكندرية إلا في ٨ حزيران^(٢٩). وذكر النص قنصلين، كما ذكر مدير مصر وحاكمها. لا نعرف شيئًا عن أيانوارثوس ويوسطوس اللذين كانا سنة ٣٢٨. أما زيناوس فكان من إيطاليا، باسم سبتيميوس زيناوس، وحكم سنة ٣٢٨ و٣٢٩.

وهكذا نجد في رأس الرسائل الفصحية أسماء الحكام الذين تعاقبوا على تدبير أمور مصر. قد يكون هناك تضارب في المعلومات أو نقص. ولكن البرديات تساعدنا على مقابلة اللوائح، كما مراسلة ليانيوس سنة ٣٥٦^(٣٠). وتذكر اللائحة، السنة التي فيها بدأ «المدير» حكمه، كما تذكر موطنه. هي تتحدث عن أربعة وعشرين منهم، فترى القسم الأكبر منهم (١٨ حاكمًا) جاءوا من المقاطعات الشرقية في الإمبراطورية، بل من

M. Richard, «Le comput pascal par Octaétérisme» dans *Le Muséon*, 87, 1974, (٢٨)
p. 307-339,

يعتبر أن الإصلاح حدث بين سنة ٣١٠ وسنة ٣٢٨، ويقترح بالتحديد سنة ٣٢٣. (٢٩) يوم السبت. كانت عادة الإسكندرية أن يكرس الأساقفة يوم سبت (الباترولوجيا الشرقية ٣١: ٢، ص ٣٥١)، فاختلفت عن كنيسة رومة التي تكرر أساقفتها يوم أحد (التقليد الرسولي، «البنائج المسيحية»، ١١ مكرر، ص ٤٠).

C. Vandersleyen, *Chronologie des préfets d'Égypte de 284 à 395*, Bruxelles, (٣٠)
1962, coll. Latomus 55, part. Ch. 15.

مقاطعات مجاورة: من فلسطين وفينيقيا وسوريا. أما السّنة الباكون الذين جاءوا من المقاطعات الغربية، فقد جاء منهم أربعة من إيطاليا، والرسالة الأولى تتيح لنا أن نعرف الاسم الكامل لزيناوس.

بعد هذه المقدّمة، نقرأ عنوان الرسالة الأولى التي أرسلها أناسيوس من أجل عيد سنة ٣٢٩. «في (السنة) التالية، كان أحد الفصح في الحادي عشر من فارموتي، في الثامن قبل عيدس^(٣١) نيسان والحادي والعشرين للقمر في قنصلية قسطنطين القدّوس^(٣٢) الثامنة والرابعة في (قنصلية) قسطنطين، وكان زيناوس نفسه مديّر مصر وحاكمها. الإينديقطيون الثانية، الأناقة السادسة. الثانية للآلهة^(٣٣) بعد ذلك، أضاف الجامع: «لا شكّ في أنّ هذه هي الرسالة الأولى التي أرسل، لأنّ السنة التي سبقت هذه، تكرّس فيها بعد العيد^(٣٤)»، كما عُرف، بحيث إنّ الإسكندر أدرك فأرسل رسالة قبل أن يترك هذه الحياة. إذن، كانت السنة الخامسة والأربعون لديوقليطيانس».

في السنة التالية، كان العيد في ١٩ نيسان ٣٣٠، وقد زار فيها تيبانيس، وسنة ٣٣١، وقع العيد في ١١ نيسان. أرسل الأسقف الرسالة وهو في طريق العودة من البلاط الإمبراطوريّ. فقد مضى إلى بلاط الملك العظيم قسطنطين الذي أرسل في طلبه لأنّ أعداءه اتهموه بأنّه أقيم أسقفًا وهو بعد شاب. فلما حضر وُجد أهلًا للقبول^(٣٥) والكرامة وهكذا عاد يوم وصلت الكنيسة إلى نصف الصوم^(٣٦).

(٣١) Ides في السريانية: إيدون: الخامس عشر من أشهر آذار، أيار، تموز، تشرين الأول، والثالث عشر في الأشهر الباقية، في الكلنتار الرومانيّ.

(٣٢) هنا هو معنى Augustos. ترجمت السريانية: «سجينًا» أي المسجود له. الإينديقطيون الثانية، الأناقة السادسة، الثانية للآلهة.

(٣٣) حاشية ١٣، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٣٤) العيد الكبير، أو عيد الفصح والقيامة.

(٣٥) أي أن يُقبل في درجة الأسقفية.

(٣٦) حاشية ١٣، ص ٢٢٨-٢٢٩. هي الرسالة الثالثة. في الرسالة الرابعة نعرف أنّ

أناسيوس زار بتابوليس وأمونيقي...

في الرسالة الثامنة، نعرف أنّ العيد وقع في ١٨ نيسان ٣٣٦. مضى أسقف الإسكندرية إلى سينودس أعدائه الذين اجتمعوا في صور. ما كان يستطيع التهرب من دعوة جاءت إليه من قبل الإمبراطور، وآلاً تعرّض للمنفى^(٣٧). إذن، انطلق من الإسكندرية. ولكن حين رأى بجلاء الفتح المهيأ له، صعد من هناك وهرب إلى القسطنطينية بعد أن استفاد من سفينة وُجدت هناك، فوصل في التاسع والعشرين من تشرين الأول. وبعد ثمانية أيام، حضر أمام الملك قسطنطين. ومع أنّه نال تأكيد ثقة، إلا أنّ أعداءه زعزعوا الملك بافتراءات مختلفة. فحكّم عليه في الحال بالمنفى. فعضى في ٦ تشرين الثاني إلى غالية^(٣٨) لدى قونسطاس قيصر، ابن أوغسطس. من أجل هذا لم يكتب رسالة العيد^(٣٩).

٢ - الرسالة العاشرة

تلك هي مقاطع من «اللائحة السريانية لرسائل العيد لأثناسيوس الإسكندراني» جُمعت مقدّمةً للرسائل الفصحية التي كتبها أثناسيوس بين سنة ٣٢٩ وسنة ٣٧٣. احتفظ التقليد السرياني بستّ عشرة منها بما فيها من نقص، مع أربعة مقاطع. كلّ هذا نقرأه في مخطوط في المكتبة البريطانية (١٤٥٦٩)، وجاء من الإسقيط في مصر، ويعود إلى القرن الثامن. نستطيع أن نرافق هذه الرسائل فنعرف الكثير عن مصر وكنيستها وما عمله بطريكها أثناسيوس. ولكننا نودّ أن تقدّم الرسالة العاشرة (كما

(٣٧) رج الدفاع ضدّ الأريوسيين ٧١ : ٢.

A. Martin, «Athanasie et les Mélétiens», dans *Politique et Théologie chez Athanasie d'Alexandrie*, Paris, 1974 (coll. Théol. Hist., n° 271, p. 31-61: ici p. 33-34, 61.

(٣٨) ما يقابل فرنسا الحالية.

(٣٩) حاشية ١٣، ص ٢٣٢-٢٣٥. في السنة التالية، التي وقع العيد في ٢ نيسان سنة ٣٣٧، لم يكتب أثناسيوس رسالة، لأنّه كان بعد في غالية.

نشرها-كيورتون^(٤٠) التي تعود إلى سنة ٣٣٨، فتعطينا نظرة واسعة عن
كنيسة مصر.

بعد أن تقدّم أجزاء من هذا النصّ، نعود لنقرأ ما يتعلّق بحياة
أثناسيوس خلال سنوات من الاضطراب عرفها هذا الأسقف بسبب دفاعه
عن مجمع نيقية.

أ - نصّ الرسالة

لهذه هي العاشرة^(٤١) (وقد كُتبت) في فنصليّة أورشوس
وفولميوس^(٤٢) في زمن تاودوروس^(٤٣) نفسه الذي من مدينة
هليوبوليس^(٤٤) ومدبر كاثوليكي^(٤٥) خلفه بعد ستين فيلاغريوس^(٤٦)،

W. Cureton, *The festal Letters of Athanasius*, Londres, 1848, p. 45-52 et (٤٠)
suppl. P. 15-17. La P.G. 26c. 1397-1403 reproduit la traduction latine de
A. Mai, *Novae Patrum Bibliothecae, tomus sextus, continens in parte Ia
Sancti Athanasii epistolas festales syriace et latine cum chronico et
fragmentis aliis*, Romae, 1853, p. 85-97.

كانت ترجمة عن السريانية إلى الإيطالية، ومن الإيطالية إلى اللاتينية. نشر هنا إلى
أنا لا نمتلك شيئاً من الأصل اليوناني.

F. Larsow, *Die Festbriefe des heiligen Athanasius. Aus dem syrischen übersetzt
und mit Anmerkungen erläutert*, Leipzig, Göttingen, 1852; R. Lorenz, *Der
Zehne Osterbrief des Athanasius von Alexandrien*, de Gruyter, Berlin, New-
York, 1986 (Text, Übersetzung, Erläuterungen, BZNW, 49).

(٤١) أي الرسالة المذكورة. هنا يبدأ النصّ في ص ٤٥ من النصّ السرياني. راج الحاشية
السابقة.

(٤٢) حاشية ١٣، ص ٢٣٦-٢٣٧، الرسالة العاشرة.

(٤٣) فلانيوس أنطونيوس تاودوروس. أصله من هليوبوليس في فيثيا. خلف فيلاغريوس
(حاشية ١٣، ص ٢٣٦-٢٣٧) قبل الأوّل من كانون الثاني سنة ٣٣٨.

(٤٤) مدينة الشمس أو بعلبك في لبنان.

(٤٥) أي صاحب الإيمان الشامل. يقابل: أرثوذكسي كما في المقال الأوّل ضدّ
الأيروسيين (الآباء اليونان ٢٠: ١٢٦) حيث تقرأ: «الذين بزعمهم الإيمان
الرسولي، لا يتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية».

(٤٦) أصله من كبادوكية (في تركيا). كان حاكم مصر سنة ٣٣٥-٣٣٧ ثمّ سنة=

أنديقياطون ١١، وفيها اليوم السابع قبل غرة نيسان هو الأحد، في الثلاثين من فارموتي^(٤٧)، في الثامن عشر من القمر، في السنة ٥٤ لديوقليطيانس.

«في الحقيقة، يا أخوتي، مع أنني هجرتكم وابتعدت عنكم، إلا أنني لم أنسّ العرف المعروف لديكم، بعد أن انتقل إلينا من الآباء، الذي يجعلني لا أقول شيئاً ولا أعرفكم بزمان العيد السنوي المقدس ويوم الاحتفال به.

«فمع أنني عرضة للمضايقات التي سمعتم بها، في أيّ حال، ومع أن المحنّ القاسية سقطت عليّ، وواعدت بيننا المسافات، وراقبنا أعداء الحقّ، وتأمروا ليحصلوا منّا على رسالة لكي يتهمونا ويضيفوا أيضاً على جراحاتنا عذاباً. ولكنّ الربّ قوّانا الآن، وعزّانا في شدائدنا. لهذا، لا نتردّد أيضاً ونحن عرضة لهذه العداوات والمؤامرات، أن نريكم من أصقاع الأرض^(٤٨)، وأن نعرفكم بفصحننا الخلاصيّ. وشجعت أيضاً كهنة الإسكندرية حين كتبّ إليهم^(٤٩). (وطلبت منهم أن يبتّموا بأن يُرسلوا إليكم تلك الرسائل، لأنّي أعرف الرعب الذي ينزل بهم هم أيضاً من قبل الأعداء. وما أنا أحثكم لتذكروا الفريسيّ^(٥٠): «لا شيء يفصلني عن محبة المسيح، لا الشدة، ولا الضيق ولا الاضطهاد ولا الجوع ولا العري ولا الخطر ولا السيف»^(٥١).

=٣٣٨-٣٤٠. في ٢٢ آذار ٣٣٩: أجلس هذا الحاكم على كرسيّ الإسكندرية
غريغوريوس الأريوسي، وظلّ أميناً لقضية أريوس بعد مجمع سرديك سنة ٣٤٣ ر.ج.
A.H.M. Jones, J.R. Martindale, J. Morris, *The Prosopography of the Later
Roman Empire*, Cambridge, 1971, p. 694.

(٤٧) أيّ ٢٦ آذار سنة ٣٣٨.

(٤٨) كان أناسيرس في المنفى، في بلاد غالية (فرنسا).

(٤٩) يلتحق أناسيوس هنا إلى رسائل سبقت هذه الرسالة.

(٥٠) هو بولس الرسول الذي يقول في أع ٢٣ : ٦ : «أنا فريسيّ ابن فريسيّ».

(٥١) رسالة بولس إلى رومة ٨ : ٣٥. هكذا طوّ الأقف على أنّه متحدّ بكنيسته رغم بُعد المسافات التي تفصل الراعي عن رعيته.

«فلو فهم»^(٥٢) (الخصوم) ما كُتِب في المزامير، لما كانوا ثاروا باطلاً على المخلص، حين يقول الروح: «لماذا اضطربت الشعوب، ولماذا نوت الأمم الباطل»^(٥٣). فلو أخذوا بعين الاعتبار نبوة موسى^(٥٤) لما كانوا عرّضوا حياتهم^(٥٥). ولو وعوا ما في كُتِبنا، لما كانوا تجرّأوا فتلفظوا بنبوءات تعنيهم بحيث إنّ مدينتهم ستدمر الآن^(٥٦)، والنعمة ستركهم، فيستبعدون حتّى عن الشريعة ولا يُعلنون بعد أبناء، بل غرباء^(٥٧). هذا ما أعلن في المزامير، قليل: «الغرياء، غرّروا بي»^(٥٨). وقال النبيّ أشعيا: «ولدتُ بنين ورفعتهم، أمّا هم فاستهانوا بي»^(٥٩).

«لا يُدعون شعب الله ولا أمة مقدّسة، بل أسياذ سدوم وشعب عمورة لأنهم تجاروزوا شرّ أهل سدوم، بحسب ما قال النبيّ أيضًا: «كانت سدوم أبرّ منك، يا أورشليم»^(٦٠). فإن كان أهل سدوم خطئوا ضدّ الملائكة^(٦١)، فهؤلاء تجرّأوا قتلوا الربّ الإله، ملك كلّ شيء وسيّد الملائكة. لم يفهموا أنّ هذا المسيح الذي قتلوه، هو حيّ. وإنّ هؤلاء اليهود الذين تأمروا على الربّ قد ماتوا: إبتهجوا بعض الوقت قليلاً، ثمّ سقطوا إلى الأبد.

(٥٢) نبأ هنا مقطّعاً جديداً حول عمى الخصوم الذين لا يريدون أن يقرأوا الكتب المقدّسة.

(٥٣) مز ٢: ١. حاول المترجم أن يكون قريباً من النصّ الكتابيّ كما في السريانية البيطة. قرأنا هنا فعل «ن ف ر»، نفر، هاج... وفي الرسالة ١١ تقرأ: «اش ت ع ل ي» أي تعالَى وترفع.

(٥٤) رج تث ١٨: ١٨؛ ٣٤: ١٠؛ أع ٣: ٢٦-٢٧؛ سيقم الربّ إليكم من بين إخوتكم نيّاً مثلي.

(٥٥) تث ٢٣: ٦٦. تقرأ هذه العبارة كما في البيطة: «وتكون حيانكم معلقة بين الموت والحياة».

(٥٦) إر ٤: ٢٧-٢٩: «سأضرب الأرض كلها...».

(٥٧) رج عل ٤: ١٧؛ أف ٢: ١٩.

(٥٨) في العبرية: قاموا عليّ، كما في السريانية البيطة.

(٥٩) أش ١: ٢. في العبرية: تمرّدوا عليّ (ف ش ع). في اليونانية: قاموا عليّ.

(٦٠) يبقى النصّ بعيداً عن الكتاب المقدّس. رج مرا ٤: ٤؛ حز ١٦: ٤٨.

(٦١) تك ١٩: ٥ وما يتبع شرح ذلك في التراجم وأدب ما بين العهدين.

تمتكوا بالرجاء، دخلوا إلى أرض الوعد. ونقول أيضًا الشيء عينه عن الذين يكتبون هنا زمنًا يسيرًا. فإن ثبتوا، بلغوا إلى النهاية، إلى الراحة. أما الذين يضطهدون (الآخرين) هنا، فيُسحتون ولا يعرفون نهاية سعيدة.

«فهيكذا»^(٧١) قبل ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الألم، حين أراد أن يعلم البشر: ضرب فتحمّل بصبر^(٧٢). شُتم فما ردّ على الشتيمة بالشتيمة^(٧٣). تألم وما هدّد أحدًا، بل قدّم ظهره للضرب ووجهه للطم، وما مال عن البصاق^(٧٤)، وفي النهاية، اقتيد بإرادته إلى الموت^(٧٥). فيقدر ما نحني فيه صورة الكمال التام والخالد، وحين يسلك كلّ واحد منّا بحسب هذا المثال، ندوس حقًا الحيات والعقارب وكلّ قوّة المدوّ^(٧٦) وإذا سلك بولس على مثال الربّ، حنّا نحن أيضًا فقال: «إتدوا بي كما أتدي أنا بالمسيح»^(٧٧). وهكذا تغلب على ما يحمله المفترى من شكوك فكتب: «وأنا على يقين أنّ لا الموت ولا الحياة، ولا الملائكة ولا الرؤساء، ولا الحاضر ولا المستقبل، ولا القوى، ولا العلوّ ولا العمق، ولا آية خليقة تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح»^(٧٨).

«ففي المضايق والميخن والأتعاب، يقترب المدوّ، فيجدّ ويعجّل في تدميرنا. ولكنّ الإنسان الذي في المسيح، وإن واجهته الشدائد، يقابل

(٧١) بدأ هنا في ص ٤٩ من النصّ السرياني، مقطعًا جديدًا حول المسيح الذي فيه يجد المؤمن قوته. رج تجد الكلمة: ١١: ٣، الينايع المسيحية، ١٩٩، ص ٣٠٤.

(٧٢) أمس ٥٣: ٤-٧.

(٧٣) ١ بط ٢: ٢٣: «ما ردّ على الشتيمة بمثلها. تألم وما هدّد أحدًا». نذكر أنّ رسالة بطرس الأولى تتوسّع هنا في نشيد عبد الربّ الرابع، الذي تألم فافتدى الكثيرين بألامه. وقد طبقت الكنيسة نصّ أشعيا (٥٢: ١٣-٥٣: ١٢) هذا على المسيح، بحيث اعتبره آباء الكنيسة «الإنجيل الخامس».

(٧٤) رج أمس ٥٠: ٦. هنا ما يسمّى نشيد أشعيا الثالث حول عبد الربّ.

(٧٥) أمس ٥٣: ٨: «انقطع من أرض الأحياء، وشرب لأجل معصية شعبه».

(٧٦) لو ١٠: ١٩. أمّا المدوّ فهو إبليس. رج مت ١٣: ٣٩.

(٧٧) ١ كور ١١: ١.

(٧٨) روم ٨: ٣٨-٣٩.

الغضب بالصبر، والشئمة بالتواضع، والشر بالفضيلة، فيتصر في ما يعمل ويقول: «أنا قادر على كل شيء بالمسيح الذي يقوّيني»^(٧٩). ويقول: «إنتصرنا على الجميع بمعونة المسيح الذي أحبنا»^(٨٠): تلك هي نعمة الرب، وتلك هي أعمال الرب العادلة وسط البشر.

«فقد تألم ليعذّ اللاألم لهذا الإنسان الذي تألم فيه. ونزل لكي يصعدنا. واختير برضاه الولادة لكي نحبّ ذاك الذي لم يُولد (كما يولد البشر). وتنازل حتّى الفساد ليلبس الفاسدُ عدمَ الموت. وصار ضعيفاً لأجلنا لكي يثبتنا في القوّة، ونزل إلى الموت لكي يهبنا الخلود ونُحيي الموتى. وفي النهاية، صار إنساناً، لكي نحبنا نحن البشر المائتين، ولا يكون الموت سائداً علينا كما من قبل. فالموت لا يتسلّط علينا، كما أعلن الرسول في كلامه»^(٨١).

وبعد أن يهاجم أثناسيوس الهرطقة^(٨٢)، يرفع المجد لله قائلاً: «إذن نحتفل بهذا الطريق الذي أصلحه لأجلنا للخلاص، وبهذا اليوم المقدّس، يوم الفصح، نحتفل مع الملائكة بهذا العيد في السماء.

«بعد أن عبر الشعب اليهودي، في الماضي، من الضيق إلى الخلاص، أقام عيداً وأنشد نشيد الظفر»^(٨٣). فهذا الشعب الذي نجا من موت محتم، في زمن أستير، صنع عيداً إكراماً للرب، عيداً يليق به... ونحن أيضاً حين نُصعد إلى الرب طلباتنا ونعترف بخطايانا، نعيّد للرب كما يجب ويليقي، ویمجدّ الرب الذي عاقبنا قليلاً، ولكنّه لم يتركنا ولم يتخلّ عنا... أخرجنا نحن أيضاً من مصر المليئة بالكذب والرامزة إلى أعداء المسيح، واقتادنا عبر الميخن العديدة والمضايقات، كما في برّيّة،

(٧٩) قل ٤ : ١٣ .

(٨٠) هو كلام قريب من روم ٨ : ٣٧ .

(٨١) رج روم ٦ : ٩ حيث نقرأ: «لا يتسلّط عليه» .

(٨٢) ص ٥٠-٥١ في النصّ السريانيّ .

(٨٣) خر ١٥ : ١-٢١ . البداية: «أنشد للربّ جلّ جلاله» .

إلى كنيسته المقدّسة. فنحن هنا، وحسب العرف، أرسل إليكم أيضًا رسائل وأتسلّم منكم. لهذا، فوق كلّ شيء^(٨٤)، أتوتل إليكم وأنا أمدح إلهي، أن تمدحوه أيضًا معي، وتمدحوه لأجلي: حاول الذين يقتلون المسيح ويمزقونه^(٨٥) أن يحطّموا التقليد الرسوليّ، ويثفوه ويحرموه، ولكنّ الربّ لم يسمح بذلك. ولكنّه أعاد الاعتبار إلى ذلك الذي أقامه بواسطة رسول، وحفظه، لكي نحتفل معًا ونعيّد معًا، بعضنا مع بعض، حسب تقليد الآباء ووصيتهم.

«إذن^(٨٦)، نبدأ صوم الأربعين يومًا في التاسع من شهر مشير، وصوم الفصح المقدّس في الرابع والعشرين من شهر فاريموت. يتوقّف الصوم في التاسع والعشرين من شهر فمينوت هذا، في نهاية مساء السبت. وهكذا نحتفل بهذا الأحد الذي فيه قام، في الثلاثين من شهر فمينوت هذا^(٨٧). وبعد سبعة أسابيع كاملة، نعيّد العنصرة. وإذا تأمل منذ الآن هذا، نكون أهلاً لما في الأبد في المسيح يسوع ربّنا، الذي به المجد والإكرام للآب، إلى أبد الدهور. آمين. سلّموا بمضكم على بعض بقبلة مقدّسة^(٨٨)، واذكرونا في صلواتكم المقدّسة. جميع الأخوة الذين معي، يسلمون عليكم ويذكرونكم دائمًا. إليكم أيّنا الأخوة الأحباء، الذين أردّهم كلّ

(٨٤) ص ٥٢ في النصّ السريانيّ.

(٨٥) رج ١ يو ٤: ٣: «كلّ روح يقسم، بمزق يسوع، لا يكون من الله». ذلك هو موقف أريوس. وسيمود أنثاسيوس إلى تيمس لا يمزق، فميمص المسيح، وإلى فصل الابن عن الآب، مع أنّه لا يقصل.

(٨٦) يُنهي أنثاسيوس كلامه بالدعوة إلى الاحتفال بالفصح. راجع في هذا المجال ما سوف يفعله كيرلس الذي يدعّر شعبه للاحتفال بهذا العيد المجيد. رج الرسالة العاشرة:

Cyrille d'Alexandrie, *Lettres festales* (VII-XI), t. II, Paris, 1993, SC 392, p. 184-243; ici p. 240-243.

(٨٧) هذا يعني أنّ صوم الأربعين يبدأ في ١٦ شباط، ويمتدّ صوم الفصح من ٢٠ إلى ٢٥ آذار. وبعيد الفصح في يوم الأحد في ٢٦ آذار.

(٨٨) روم ١٦: ١٦.

المودة أن تكونوا معافين».

نهاية رسالة أثناسيوس العاشرة^(٨٩).

ب - ماذا نقول في هذه الرسالة؟

بما أن الرسالة حدّد زمنها، سنة ٣٣٨، نتوقّف بعض الشيء عند سيرة أثناسيوس خلال تلك السنوات المضطربة. فأسقف الإسكندرية مضى إلى المنفى، في غالية، بعد مجمع صور، في تموز - أيلول سنة ٣٣٥^(٩٠). ولما مات الإمبراطور قسطنطين في ٢٢ أيار سنة ٣٣٧، استعاد الأسقف حرّيته في ٩ أيلول، وعاد إلى الإسكندرية في ٢٣ تشرين الثاني من السنة نفسها. ولكنّه لم يقض في مدينته سوى سنة واحدة، بعد أن هرب من جديد، في أيار سنة ٣٣٩، والتجأ إلى رومة.

هذه التفاصيل وغيرها في رسائل العيد^(٩١) التي توخّحت قبل كلّ شيء أن تحدّد يوم عيد الفصح كلّ سنة، وصلت إلينا في الرسالة السابعة التي كُتبت في الإسكندرية، في بداية سنة ٣٣٥، وفقدت الرسالتان الثامنة والتاسعة لسني ٣٣٦-٣٣٧، أما الرسالة العاشرة فقرأناها في السريانية فقط، وهي تلقي بعض الضوء على تلك الحقبة من حياة أثناسيوس. ونسارع إلى القول بأننا لنا أمام رسالة واحدة، بل أمام أربعة أجزاء ضُمت بعضها إلى بعض في وقت لاحق.

هناك العنوان الذي يؤرّخ الرسالة: سنة ٣٣٨. أما القسم الأوّل

(٨٩) راجع ترجمة الرسالة إلى الفرنسية:

M. Albert, «La 10^e lettre festale d'Athanase d'Alexandrie», in *Parole de l'Orient*, vol VI-VII, (1978-1979, Mélanges Graffin), Kaslik, 1978, p. 69-90, ici p. 75-90.

G. Bardy, «Athanase», in *Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastique*, vol IV, Paris, 1930, col 1324, c'est à Trèves qu'Athanase fut en exil.

(٩١) *Lettres festales* أو الرسائل الفصحية.

الذي يبدأ: «في الحقيقة، يا إخوتي»، ويضمّ مقطعين كبيرين، فيشدّد على أمرين رئيسيين. في الأوّل، يشكّي أناسيوس بمرارة بسبب بُعدِه عن كنيسته، والضيقات وكلّ المِحَن التي يحتملها في أقاصي الأرض. وفي الثاني، يؤكّد على وحدة روحية مع كنيسة الإسكندرية، وحدة عميقة يريد أن يحافظ عليها، وحدة يختمها حضورُ المسيح وسط الذين يجتمعون باسمه. والقسم الثاني يتضمّن أيضًا مقطعين. يشكر فيعما الأسقف الربّ لأنّه أعاده إلى كنيسته. لهذا جاءت اللهجة هادئة، بعد أن زالت العاصفة^(٩٢).

وجاء القسم الأخير أطول الأقسام، فانهى بكلام عن الوحدة بين أناسيوس وكنيسته. ولكن قبل ذلك جاءت اللهجة قاسية جدًّا مع عاطفتين متضاربتين في قلب الأسقف: أولها العنف ضدّ خصومه الذين يسمّهم عقارب وحيّات وعميانًا لا يفهمون نبوءات العهد القديم. لهذا يجب أن يُسحقوا. وهكذا، ينقسم العالم قسمين، قسم الخير وقسم الشرّ. فالأخيار هم الذين يساندون أناسيوس، والأشرار هم خصومه الذين لن تكون لهم نهاية سعيدة. والعاطفة الثانية تبحث عن تعزية في قلب المحنة، وتعبّر عن حنين إلى أرض مصر. وفي كلّ هذا، يثق الأسقف أنّه سيّتصر على خصومه، وعلى الموت، بعون المسيح.

كلّ هذا بدا بشكل تاريخي. ولكن سيأتي دور الهراطقة^(٩٣)، الذين يجعل أناسيوس أقرالهم في لائحة الهراطقات، كما اعتاد الآباء أن يفعلوا. ذكر نظرات أريوس التعليمية ودعاه المفترّي. وهاجم الخصوم «الذين يصرون بأسنانهم علينا». ثمّ تأتي العقيدة في خطّ ما نقرأه في «تجسّد الكلمة» الذي دوّنه أناسيوس حوالي سنة ٣٣٦، فبرهن فيه أنّ لا دواء لفساد البشرية، ولا إصلاح للإنسان إلّا بالتجسّد. ويعد أن علّل التجسّد وموت المسيح وقيامته، دافع عن الإيمان المسيحيّ في هذا

(٩٢) هذا ما يقابل نصّ الملحق في نشرة كيورتون: ص ١٥-١٧.

(٩٣) ص ٥٠ في النسخ السريانيّة.

المجال. وردّ على اليهود والرثيين^(٩٤). وتحدّث عن المسيح الذي هو قدرة الله وحكمته، الذي هو المخلّص والخلاص. وأضاف هنا لقين لا نجدهما في «تجدد الكلمة»، هو المدافع والمحزّر.

هنا نطرح تساؤلاً حول هذه الرسالة العاشرة التي أشرنا إلى أنّها تألّفت من أجزاء دُوّنت في أوقات مختلفة. أما يجب أن يعود كلّ جزء إلى الرسالة التي ورد فيها؟ كلّ ما نجده من إشارة زمنيّة هو عيد الفصح الذي يقع في ٣٠ فمينوت أي ٢٦ آذار. نقرأ هذه الحاشية فنفهم أنّنا حقّاً أمام الرسالة العاشرة حسب لوائح الرسائل الأثناسيّة وأزمة العيد في كلّ سنة^(٩٥).

تلك نهاية الرسالة. أمّا القسم الأوّل فيها فهي رسالة منفي، ويمكن أن تكون أرسلت سنة ٣٣٦ أو ٣٣٧. إذا عدنا إلى اللائحة^(٩٦) التي تسبق رسالة من الرسائل^(٩٧) نعرف عن سنة ٣٣٦ أنّ أثناسيوس لم يكتب في ذلك الوقت رسالة العيد^(٩٨). وفي السنة ٣٣٧، احتفلوا بالعيد في ٣ نيسان. ولكن بما أنّ أثناسيوس كان في المنفى، لم يقدر أن يكتب رسالة العيد^(٩٩).

تحدّث هذا القسم الأوّل عن المنفى، فبان أنّه يعود إلى سنة ٣٣٦ أو ٣٣٧. والقسم الثاني الذي أبرز فرح العيد، يعود بنا إلى سنة ٣٣٨ حيث عاد أثناسيوس إلى أحبّائه، أو كان هو في طريق العودة. تقول اللائحة: «فيها (= في تلك السنة) توفي قسطنطين في ٢٧ باخوت (= ٢٢ أيار). فسمح له (= أثناسيوس) فعاد من غالية في ٢٧ أثير (= ٢٣ تشرين الثاني)

(٩٤) Quasten, *op. cit.*, p. 52-53.

(٩٥) حاشية ١٣، ص ٣٠٧-٣٠٩.

(٩٦) *chronicon*: أحداث ترافق الرسالة.

(٩٧) Mai, *op. cit.*, p. 1-18; PG 26, 1351-1360.

(٩٨) حاشية ١٣، ص ٢٣٤-٢٣٠. إحتفلوا بالعيد في ١٨ نيسان ٣٣٦. ونقرأ في نهاية

رقم ٨: ١٠: «لهذا السبب، لم يكتب رسالة العيد» (أخرتاً عادنياً).

(٩٩) المرجع السابق، ص ٢٣٤-٢٣٥ مع الفعل الريانيّ «لا يتمصي»: لم يقدر.

بمجد كبير (مشيحات، في السريانية) (١٠٠).

والقسم الأخير يعود، على ما يبدو، إلى سنة ٣٣٨، حيث تتوالى أقوال العنف ضدّ الخصوم وكلام الإرشاد. فالصعوبات ما زالت حاضرة، والنصر الذي ناله الأسقف سريع العطب. فالمؤامرات تحاك عليه. وسيعود إلى المنفى قريباً، ويحلّ محله على كرسيّ الإسكندرية أسقف من كبادوكية، اسمه غريغوريوس (١٠١). وهكذا تكون هذه الرسالة التي حُفظت لنا في اللغة السريانية، قد ضمت عناصر من رسالتين على الأقل. ولو وصلت إلينا كاملة، لكانت قدّمت لنا عناصر إضافية أخرى.

٣ - رسائل أثناسيوس في القبطية

وصلت إلينا رسائل أثناسيوس، رسائل العيد والرسائل الرعوية، بعد أن نقلت عن اليونانية إلى القبطية (١٠٢). ولكن نسارع إلى القول إنّنا لم نجد بينها نصّ الرسالة العاشرة. كما نودّ أن نتحدّث، قبل عرض هذه الرسائل «القبطية»، عن دور أثناسيوس في تطوير الطريقة التي بها يُعلم أسقف الإسكندرية المدن والأديرة بزمان العيد.

مع أثناسيوس تكاثرت رسائل العيد خلال خمس وأربعين سنة من استنفيته. إن كان لم يصلنا مخطوط كامل في اليونانية، إلّا أنّ التقاليد السريانية والقبطية والأرمنية قد عوّضت. كيف بدت هذه الرسائل: قبل أثناسيوس، كانوا يعلنون عيد الفصح والأسبوع الذي يسبق العيد. ولكن مع أثناسيوس، ومنذ الرسالة الثانية، سنة ٣٣٠، رُبط بالاحتفال الفصحّي

(١٠٠) المرجع السابق، ص ٢٣٦-٢٣٧. وذكر النصّ في تلك السنة عودة أنطونيوس أبي الرهبان إلى الإسكندرية حيث أقام يومين فقط، شفى فيها عدداً من المرضى وعاد في اليوم الثالث، في شهر مهوري، أي نهاية تموز - آب.

(١٠١) راجع حاشية ٨٩، ص ٦٧-٧٣.

S. Athanase, *Lettres festales et pastorales en copte*, L. Th. Lefort, Louvain, (١٠٢) 1955, CSCO 150, (t 19 des scriptores coptes) pour l'édition et 151 (t 20) pour la traduction en français.

الصوم الأربعيني الذي كان يمارس حتى ذلك الوقت، بعد الدنح، حسب التقليد المصري^(١٠٣). وهكذا دخل الصوم الأربعيني في دورة الفصح. نلاحظ أن تاريخ الفصح يُعطى أولاً حسب الكلندار اللاتيني أو اليولياني^(١٠٤) ثم حسب الكلندار القبطي. هذا يعني أن رسائل الإسكندرية لم تتوجه فقط إلى ما يرتبط بها من أبرشيات وأديرة، بل إلى جميع الكنائس^(١٠٥).

أ - مضمون الرسائل القبطية

بعد هذا الاستطراد السريع، نتحدث عن هذه الرسائل التي ضاعت في اليونانية، وذلك لعدم الذوق عند الكتبة البيزنطيين وكسالمهم وإعمالهم^(١٠٦). ولكنها وُجدت في القبطية ونُشرت منذ سنة ١٨٩٨ حتى ١٩٣٥. جاءت المخطوطات من برلين وباريس وفيينا وأوكسفورد ولندن. فرتبها النقاد ترتيباً وصل بهم إلى الرسائل الفصحية التالية^(١٠٧):

(١٠٣) تميّز صوم يومي الأربعاء والجمعة، والصوم الأربعيني، عن أسبوع الصوم، الذي يهيئ للاحتفال بعيد النصح.

(١٠٤) إرتبط بيوليوس قيصر، سنة ٤٦ ق.م، ونحدث عن سنة كبس تعود كل أربع سنوات. وهكذا صارت السنة ٣٦٥ يوماً وربع اليوم. راجع:

R. Coquin, *Les origines de l'Épiphanie en Égypte*, *Lex Orandi*, Paris, 1967, p. 139-170.

تحدث لورنتز عن هذه العادة عند أريجانس في العظات على سفر اللاويين ١٠ : ٢ (التيابيع المسيحية، ٨٧)، ص ١٣٨-١٣٩: نصوم صوماً احتفالياً يوم الأربعاء والجمعة من كل أسبوع). Lorentz, *op. cit.*, p. 25.

(١٠٥) راجع رسالة العيد الثامنة عشرة (سنة ٣٤١): «كُتب الشيء عنه أيضاً إلى الرومان». رج:

A. Mai, *Nov. Pat. Bibl.*, VI, I, Rome, 1853, p. 132-133.

نقرأ في اللائحة (حاشية ١٣، ص ٢٤٦-٢٦٧): إن أناسيوس «عاد من رومة ومن إيطاليا. ودخل إلى المدينة وإلى الكنيسة، فاستحق لقاء عجيماً، على بعد مئة ميل».

(١٠٦) CSCO n° 150, p. III هنا ما ناله Bernard de Montfaucon في مقدمة نشرة البندكان لأعمال القديس أناسيوس.

(١٠٧) المرجع السابق ص V-XVI. راجع حاشية ١٣، ص ٢٢٦-٢٢٨.

الأولى تعود إلى سنة ٣٢٩ وهي تبدأ: «يا أحيائي، يدعونا الزمن لأن نعيد. فقد أشرقت لنا شمس البرّ (ملا ٤ : ٢) فدلتنا، بشعاعها النقي، على زمن هذا العيد»^(١٠٨)، والثانية إلى سنة ٣٣٠، والسادسة إلى سنة ٣٣٤، والرابعة والعشرون إلى سنة ٣٥٢، والخامسة والعشرون إلى سنة ٣٥٣، ثم السادسة والعشرون (٣٥٤) والسابعة والعشرون (٣٥٥) والثامنة والعشرون (٣٥٦)، والتاسعة والعشرون (٣٥٧).

لم يصلنا شيء من سنة ٣٥٨ إلى سنة ٣٦٣. في السنة ٣٦٤ وصلت الرسالة السادسة والثلاثون التي ضاعت بدايتها وفيها يقول أنثاسيوس: «كتبَ هذه إليكم من إنطاكية، بعد أن عُدتُ من البلاط الملكي وشاهدت الإمبراطور الرحيم»^(١٠٩). وتحدثت الرسالة السابعة والثلاثون (سنة ٣٦٥) عن الأريوسيين وأتباعهم الميليتيين، فربطت فرمهم بتعجرف اليهود^(١١٠). واحتفظت لنا اللغة القبطية بالرسالة الثامنة والثلاثين سنة (٣٦٦)، والتاسعة والثلاثين (٣٦٧) التي سوف نعود إليها لما فيها من كلام عن لائحة الأسفار القانونية^(١١١). في الرسالة الأربعين (٣٦٨) يتحدث عن خلافات

(١٠٨) تعود إلى الترجمة الفرنسية. CSCO, 151, p. 1.

(١٠٩) المرجع السابق، ص ٢٧. حسب الكرونيكة اللامنتوتة، عاد أنثاسيوس نجاةً إلى الإسكندرية، حين أعلن موت الإمبراطور يوليئس، ثم عاد إلى إنطاكية للقاء الإمبراطور الجديد. راجع حاشية ١٣، ص ٢٢٦-٢٦٧ (العيد في ٤ نيسان) حيث نقرأ: «أرسل كالعادة (لك عيداً، في السريانية) رسالة العيد (عادنيا) من إنطاكية، إلى جميع الأساقفة في كل الأبرشيات» (أو المناطق، بحسب المعنى القديم للفظ *éparchie* أو في السريانية: هفاركيا).

(١١٠) CSCO 151, p. 40. غابت بداية الرسالة. ثم قال الأسقف القديس: «ما أوصيكم به هو أن تحبوا بعضكم بعضاً...». في حاشية ١٣، ص ٢٦٨-٢٦٩، نقرأ ما يلي: «مرة أخرى هاجموا البابا (= أنثاسيوس) بالافتراءات، فلجأ إلى حديقة النهر الجديد (تلميح إلى المنفى الخامس، راجع التاريخ اللامنتون ٥ : ١-٤، ص ١٥٩-١٦٣). ولكن بعد بضعة أيام جاء الكاتب (= السكرتير) برسنداس مع الحاكم، وجعله يدخل إلى الكنيسة». وتذكر هذه الرسالة زلزلاً تحدثت عنه إيرونيوس في *Chron. ad a. 365* واستماده (365) *Oros. Adv. Paganos, VII, 32, 5*.

(١١١) الحاشية ١٣، ص ٢٧٠-٢٧١ (وقع العيد في ١ نيسان ٣٦٧). نقرأ: «وفيها»

تجعل الأساقفة يرسمون قسًا. يقول أثناسيوس: «إن لم نتوقف عن مثل هذه الأعمال، نكون وكأنتنا نأكل بعضنا بعضًا، ونفني بعضنا بعضًا»^(١١٢). بعد الرسالة الحادية والأربعين (٣٦٩) التي ارتبطت بالسنة الخامسة والثمانين لعهد ديوقليطيانوس^(١١٣)، والرسالة الثانية والأربعين (كان العيد في ٢٨ آذار ٣٧٠)، انتهى النصّ القبطي مع الرسالة الثالثة والأربعين التي تحدّثت عن عيد وقع في ١٧ نيسان سنة ٣٧١. وانطلقت من رسالة بولس الأولى إلى الكورنثيين. فنقلتنا من العهد القديم إلى العهد الجديد: الفصح فصحنًا، ودعوتنا في الصلاة، ومدنيتنا في السماوات^(١١٤).

بعد أن ذكرنا هذه الرسائل، هل نستطيع القول إنّه وجدت مجموعة تضمّ رسائل أثناسيوس الفصحية، حسب الترتيب الكرونولوجي؟ لا شكّ في ذلك. فالقديس إيرونيمس الذي توفي سنة ٤١٩-٤٢٠، يورد بعض أعمال أثناسيوس في «الرجال العظام»^(١١٥) ويذكر «الرسائل العبيدية»^(١١٦). وعاد تيموتاوس إيلورس^(١١٧) إلى الرسائل فاستقى منها ما استقى. واستعمل ساويرس الإنطاكي^(١١٨) (+ ٥٣٨) مجموعة رسائل،

= (تلك السنة) كتب (رسالة) فصنع (= حدّد) القانون (فتونا في السريانية) حول الكب الإلوهية.

(١١٢) CSCO, 151, p. 40. في تلك السنة، وقع العيد في ٢٠ نيسان.

(١١٣) الحاشية ١٣، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(١١٤) CSCO, 151, p. 51.

(١١٥) Jerome, *De Viris illustribus*, 87.

(١١٦) *Heortastikai epistolai*.

(١١٧) Quasten, *op. cit.*, (+ 477) *Timothée Aelure* حُرّف برده على مجمع خلقيدونية،

p. 157. نجد في مؤلفاته ثمان رسائل لأثناسيوس، حُفّظت في مؤلف أرمني نشره:

K. Ter-Mekerttchian et E. Ter-Minassiantz, *Timotheus Aelurus des*

Patriarches von Alexandrien, widerlegung der auf der Synode zu Chalcedon

festgesetzten Lehre, Leipzig, 1908; voir L. Th. Lefort, «A propos des

Festales de St Athanase», dans *Le Muséon* LXVII, 1954, p. 43-50.

J. Lebon, *Severi antiocheni liber contra impium Grammaticum* (CSCO vol (١١٨)

101/syr 5; vol 102/syr 51).

نجد الاستشهادات الثلاثة ص ٢٩٣-٢٩٥ من النصّ السرياني، وص ٢١١-٢١٧=

فدَلَّ بَدَقَّةً عَلَى بَدَايَةِ الرِّسَالَةِ وَعَلَى رَقْمِهَا فِي السَّلْسَلَةِ، وَأَشَارَ كُوسْمَاسُ
أَنْدِيكُوبُلُوسْتِيَسُ^(١١٩)، فِي مَتَسَفِ القَرْنِ السَّادِسِ فِي إِيرَادِ نِصُوصِ رِسَائِلِ
العِيدِ هَذِهِ، إِلَى رَقْمِ الرِّسَالَةِ.

هل عاد ساويرس إلى المجموعة السريانية، أم نقل ما ورد عن النص
اليوناني؟ هذا ما لا تقدر أن تقوله. ولكن في أي حال، وُجِدَ النُّقْلُ السَّرِيَانِيَّ
الَّذِي نَشَرَهُ كِيُورْتُونُ^(١٢٠) عَنِ المَتْحَفِ البَرِيْطَانِيَّ، رَقْمَ ١٤٥٦٩، قَبْلَ القَرْنِ
الثَّامِنِ. وَلَا شَيْءٌ يَمْنَعُ مِنْ أَنْ نَكُونَ أَمَامَ نَسْخَةٍ لِنَصِّ نَقْلٍ قَبْلَ ذَلِكَ الوَقْتِ.
وَإِذَا كَانَ السَّرِيَانُ اِهْتَمَّ بِأَكْرَبِ بَهْنَةِ «الرِّسَائِلِ»، فَكَمْ يَكُونُ اِهْتِمَامُ الأَقْبَاطِ
كَبِيرًا، لَا سَيِّمًا وَأَنَّ هَذِهِ الرِّسَائِلَ كُتِبَتْ لِأَجْلِهم فَتَسَلَّمَتْهَا كَنَائِسُ مِصْرَ
وَأَدِيرَتِهَا، وَتَلَّتْهَا تِلَاوَةً عَلَنِيَّةً أَمَامَ المُؤْمِنِينَ لَتَعْلَنَ لَهُمْ بَدَايَةُ الصُّومِ وَزَمَنُ عِيدِ
الفِصْحِ. وَبِمَا أَنَّ مَجْمَلَ شَعْبِ مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَفْهَمُ اليُونَانِيَّةَ^(١٢١) وَجِبَ رَبَّمَا
عَلَى أُنْثَاسِيُوسُ أَنْ يَنْقُلَ رِسَائِلَهُ الفِصْحِيَّةَ إِلَى القِبْطِيَّةِ^(١٢٢).

بعد هذه الإطلالة على رسائل أنثاسيوس كما وصلت في اللغة
القبطية، تقدّم رسالتين هامّتين. الأولى تورّد قانون (أو اللانحة القانونيّة)
الأسفار المقدّسة. والثانية تقدّم شرحًا عن عيد الفصح في إطار الكتاب
المقدّس.

=من الترجمة اللاتينيّة. ونجدها أيضًا في اللاتينيّة، الآباء اليونان ٢٦ : ١٤٢٣-
١٤٣٤ ؛ ١٤٣٥-١٤٣٦ ؛ ١٤٤١-١٤٤٢.

(١١٩) Cozmas Indicopleustes, *Topographie chrétienne*, SC 141, 159, 197, Paris.
(١٢٠) حاشية ٤٠. تضيف هنا H. Burgess, *The Festal Epistles of St Athanasius*,
Oxford, 1854.

(١٢١) ذاك كان وضع مكاربيوس، أسقف أنتيابوليس في النصف الأوّل من القرن الخامس:
L. Th. Lefort, «A propos de Macaire de Tkow», *Le*
Muséon LXXV, 1952, p. 5.

(١٢٢) هنا ما فعله تاودوؤس، خلف باخوميوس الذي نشر لرهبانه رسالة سنة ٣٦٧. «أمر
الأخوة أن يترجموا رسالة الأسقف أبا أنثاسيوس. فكتبوها في لغة مصرية. فجعلها
تاودوؤس في الدير لكي تكون قانونهم».

L. Th. Lefort, *Les vies coptes de S. Pechôme*, Louvain, 1943, p. 295, 189.

ب - الرسائلان ٤١ ، ٤٥

أولاً: الرسالة التاسعة والثلاثون (١٢٣)

في تلك السنة، كان العيد في الأول من نيسان سنة ٣٦٧. يوم كان لوفثيقئس وديونئس قنصلين وفروقليئس حاكمًا في مصر... حين كان أثامبيوس في رومة، طلب منه الإمبراطور قونسطاس أن يقدم لائحة بالأسفار المقدسة، بسبب تكاثر الكتب المنحولة التي تشرها الميليتيون في كل مكان.

«أما الآن، فنحتفل أيضًا بالعيد حسب تقاليد آبائنا. نحن نمتلك الكتب المقدسة التي تكفينا وتعلمنا العلم الكامل. فإن قرأناها بتمعن ونية صادقة، نكون مثل هذه الشجرة التي تنمي على مجرى المياه، وتعطي ثمارها في وقته، ولا تذبل أوراقها» (مز ١ : ٣).

«ولكن بما أن الهرطقة بلداء، وبما أننا نحن نمتلك الكتب التي هي نعمة الله من أجل خلاصنا، أضاف، بسبب شرّ البشر، أخاف أن يضلّ البسطاء عن البراءة والخلوص الذي يقود إلى المسيح (٢ كور ٣ : ١١)، كما كتب بولس إلى الكورنثيين، ويشرعون في قراءة الكتب المنحولة، فيضلّون بالتسمية فيعتبرون هذه (= المنحولة) أسفارًا حقيقية. فأناشذكم أن تمتنعوا عنها. وانظروا إن كانت الكتب التي تعرفونها هي التي أوردتها من أجل حاجة الكنيسة وجبًا لها.

«وإذ عزمتم أن أذكرها، أعود إلى عبارة الإنجيلي لوقا، فأتجرأ، تحت حمايته، وأقول أنا أيضًا: «بما إن البعض أخذوا يكتبون لأنفسهم كتبًا منحولة ومزجوها بكتب هي نفحة الله، ونؤمن أنها سلّمت إلى آبائنا على يد الذين كانوا منذ البدء شهود عيان وصاروا خدام الكلمة، استحسنت أنا أيضًا العالم بهذا منذ البدء بأن أعلمكم، بناء على دعوة إخوة حكماء، بكتب قانونية نقلت إلينا وأمتًا بأصلها الإلهي. فمن ضلّ يردّ على الذي أضله.

(١٢٣) رسالة شبه كاملة، بعد عودة إلى أجزاء يونانية وسريانية وتبعية.

P. Joannou, *Discipline générale antique*, Rome, 1962, p. 71-76.

والذي ظلّ معافى يتتهج حين تُذكر أمامه الأسفارُ القانونيّة .

«كتب العهد القديم اثنان وعشرون^(١٢٤) . نُقلت إلينا كما كانت عند المبرانتين وإليك ترتيب قراءتها وأسمانها: الأوّل التكوين . وبعده، الخروج^(١٢٥) . . . وكتب العهد الجديد التي لا نغفلها . الأناجيل الأربعة حسب متى ، حسب مرقس ، حسب لوقا ، حسب يوحنا . ثمّ أعمال الرسل والرسائل الكاثوليكيّة السبع . . . تلك هي يتابع الخلاص فمن عطش ينعم بالكلمات التي فيها ، لأنّها تركز بتعليم التقوى الذي فيها . فلا يُضف عليها أحد ولا ينقص . ففي شأنها وجه الربّ تويخه إلى الصّدوقين قائلاً : «ضلّتم وما عرّتم الكذب ولا قدرة الله» (مت ٢٢ : ٢٩) . وبنه اليهود أيضًا قائلاً : «ابحثوا في الكذب لأنّها تشهد لي!» (يو ٥ : ٣٩)^(١٢٦) .

ثانيًا : الرسالة الثانية والأربعون

«لم يحضّر الرسول الكورنثيين وحدهم على الاحتفال بالعيد قائلاً : «لا نعيّد بالخمير العتيق» (١ كور ٥ : ٨) ، فهذه الكرازة هي لفائدتنا العامّة وفائدة جميع القديسين . هذه الكرازة أهلها موسى : «هذا الشهر هو لكم بداية الشهور . هو الشهر الأوّل في السنة» (خر ١٢ : ٢) . والنبي أوصى أيضًا كيف يجب أن نعيّد ، قال : «يا يهوذا ، احتفل بأعيادك وأوفّ ندورك» (نا ١ : ١٥) . فإذا وجب علينا في كلّ وقت ، كما يقول القديسون (حكذا أنشد لاسمك؟ يا إلهي ، إلى دهر الدهور ، وأوفّ ندوري ، يومًا بعد يوم ، مز ٦١ : ٩) ، فبالأحرى يجب علينا خلال الأعياد أن نعرض لله طلباتنا

(١٢٤) أي حسب عدد الأحرف الأبجدية في العبريّة كما في السريانيّة . في الواقع ، هي ٣٩ كتابًا كما في التوراة العبريّة .

(١٢٥) وتتواصل اللاتحة حتى حزقيال ورمياي . لم نورد النصّ ، كما لن نورد نصّ أسفار العهد الجديد .

(١٢٦) CSCO 151, p. 36-37 . ويتابع النصّ فيذكر الأسفار القانونيّة الثانية (سفر الحكمة . . .) التي ينصح الآباء بقراءتها . نشير إلى أنّ هنا «القانون» الذي أوردّه أثناسيوس نقرأه في الكودكس الثانيكانيّ الذي يعود إلى القرن الرابع فيرتبط بأثناسيوس والتقليد المصريّ .

وتدفع ديوننا بسخاء. فحين نسمع «انذروا وأوفوا للربّ إلهكم» (مز ٧٦ : ١٢)، نجيب حالاً مع الذين قالوا في المزامير: «أدخل بيتك بالمحرقات» (مز ٦٦ : ١٣). فنغذ هؤلاء بدون تردد، لأنهم حتفوا بعد أن دخلوا: «أذبح لك ذبيحة الحمد، وأوفي نذوري للربّ، في ديار بيت إلهنا، أمام شعبه كلّه، في وسطك يا أورشليم» (مز ١١٦ : ١٧-١٨).

«تلك هي الطريقة التي بها نذر أبو الآباء يعقوب فقال: «إن كان الربّ الإله معي، وإن حفظني في الطريق الذي أسير فيه، وإن أعطاني خبزاً آكله ولباساً ألبسه، إن أعادني سالماً إلى بيت أبي، يكون الربّ لي إلهاً وهذا الحجر الذي رفعته ذكراً يكون بيت الله، وأعطيك عشر كلّ الخيرات التي تعطيني» (تك ٢٨ : ٢٠-٢٢)، وما تهامل. وحتّى أيضاً أعطت صموئيل ما نذرت به (١ صم ١ : ١٢)»^(١٢٧).

خاتمة

تلك كانت مسيرتنا في رسائل العيد كما وصلت إلينا من أناسيوس، بطريرك الإسكندرية في القرن الرابع. توقّفنا عند لائحة تتحدّث عنه منذ ستة ارتقائه السدّة الأسقفية حتّى وفاته سنة ٣٧٣. وقرأنا الرسالة العاشرة التي ضاعت من كلّ النصوص سوى من السريانية. وانتهينا مع رسائل العيد كما حفظتها لنا اللغة القبطية. لا شكّ في أنّ الموضوع الأوّل هو عيد الفصح وتحديد تاريخه وكيفية الاحتفال به. ولكن من خلال هذه الرسائل الظرفية، نعرف الكثير عن أناسيوس المدافع عن الأريوسية، عن أحوال كنيسة مصر. كما نكتشف أسماء القناصل والحكام الذين دبروا أمور مصر وليبيا والنوبة في ذلك الزمان. ولن تتوقّف رسائل العيد مع أناسيوس، بل تتعداه إلى تيوفيلس، فتصل بشكل خاصّ إلى كيرلس الذي احتفظ لنا التاريخ بتسع وعشرين رسالة قدّمت لنا هي أيضاً صورة عن كنيسة مصر في القرن الخامس، في خضمّ المجادلات الكرمستولوجية.

.CSCO 151, p. 48-49 (١٢٧)

إيليا النصيبيني (٩٧٥-١٠٤٦ م)
والوزير أبو القاسم المغربي (٩٨١-١٠٢٧)

الأب سمير خليل سمير اليسوعي^٥

أولاً - حياة إيليا

١. نشأته
٢. سياسته مطراناً
٣. نشاطه الفكري
٤. علاقته بالوزير أبي القاسم
٥. علاقته بأبي الفرج بن الطيب
٦. نهاية حياة إيليا

ثانياً - التعريف من الوزير أبي القاسم المغربي

١. مراجع من الوزير أبي القاسم
٢. حياة الوزير أبي القاسم
٣. مؤلفات الوزير أبي القاسم وثقافته
٤. زيارات الوزير إلى نصيبين

(٥) مدير مركز التراث العربي المسيحي للتوثيق والبحث والنشر. أستاذ في جامعات بيروت وروما.

ثالثًا - أبو القاسم الوزير يطلب دعاء الرهبان من أجله، وإيليا المطران يرُدُّ عليه

١. أسلوب إيليا في الحوار
٢. مثال من «كتاب المجالس»
 - أ - المقدمة: طلب الوزير
 - ب - تنبيه إيليا
 - ج - جواب الوزير
 - د - الخاتمة: تحقيق طلب الوزير

من ألمع شخصيات الكنيسة المشرقية، في القرن الحادي عشر، إيليا مطران نصيبين، المعروف بإيليا بن السّي (نقلًا عن السريانية «بر شنابا»)، وصوابها إيليا السّي^(١).

كان إيليا، مع صديقه الكاهن عبدالله بن الطيّب المشرقي، الطيّب والفيلسوف واللاهوتي والمفسر العلامة المتوفى سنة ١٠٤٣ م، ممّن رفع عاليًا لواء المسيحية في أنحاء الشرق. ويعتبر إيليا من أئمة الفكر العربي في عصره، وإن لم يشتهر شهرة ابن الطيّب لاهتمامه بالأمور الدينية والعرفانية أكثر منه بالأمور العلمية والفلسفية.

(١) إعتدنا في هذا البحث على ما نشرناه في المنيا (مصر) بالسبعينيات في ثلاث مقالات صغيرة. راجع الأب سمير خليل السورعي، «حياة إيليا النصيبيني (٩٧٥-١٠٤٦ م)»، في رسالة الكنيسة ٦ (١٩٧٤)، ص ١١-١٤ و ١٧؛ وإيليا النصيبيني (٩٧٥-١٠٤٦) والوزير أبو القاسم، ص ٥١-٥٤ و ٥٧؛ وأبو القاسم الوزير يطلب دعاء الرهبان من أجله وإيليا المطران يرُدُّ عليه، ص ٩١-٩٥. ولكننا أصلحنا بعض الأخطاء وزدنا زيادات كثيرة.

أولاً - حياة إيليا

١. نشأته

ولد إيليا يوم الخميس ١١ فبراير / شباط سنة ٩٧٥ م، في السن، وهي قرية قريبة من الزاب الأصغر، تابعة لأبرشية تكريت. تبعد عن تلك المدينة نحو ٣٥ كم شمالاً. وعندما بلغ التاسعة عشرة، رسمه المطران ثنائيل كاهنًا، وعيَّنه رئيسًا على دير مار سمعان. وكان ذلك يوم الأحد ١٥ سبتمبر / أيلول العام ٩٩٤ م.

وبعد ستين، أي في ٩٩٦، انتقل إيليا إلى دير مار ميخائيل، بالقرب من الموصل. وتلمذ على يد أحد الرهبان المثقفين، يدعى يوحنا الأعرج. فأكمل معه دراساته العلمية والأدبية والفلسفية واللاهوتية؛ وكانت الدروس الكهنوتية عند المشاركة تشمل: العلوم الرياضية، والطب، والمنطق، واللاهوت، والتفسير.

٢. سياحته مطرانًا

ولما توفي البطريك، اجتمع الرأي على اختيار المطران ثنائيل جاثولبتا (أي بطريكًا) على الكنيسة المشرقية. فتمّ تنصيبه يوم الأحد ٢٦ أكتوبر / تشرين الأول سنة ١٠٠٠ م، وسُمِّي باسم يوحنا الخامس بن عيسى.

ولم تعبر سنة وربع سنة، حتى رسم البطريك الجديد إيليا مطرانًا على إبرشية «بيت نهاذرة». وكان عندئذٍ ابن ٢٧ سنة. فتمت الرسامة يوم الأحد ١٥ فبراير / شباط سنة ١٠٠٢ م.

ثمّ توفي «يهبالاها»، مطران نصيين، يوم الأربعاء ٣ ديسمبر / كانون الأول سنة ١٠٠٧ م. فخلا الكرسيّ الأسقفّي سنة وثلاثة أسابيع، ولم يجد البطريك مَنْ ينوب مكان «يهبالاها» من الرهبان ويكون كفاءًا لهذا المنصب، نظرًا إلى أهميّة هذا الكرسيّ. وكانت نصيين آنذاك من

أهمّ الإيثارشات المشرقية، ومركز إشعاع للفكر المسيحي. فدعى إيليا، والتجأ إليه. واضطرّ إلى أن ينقله من قُيوت نهاذرة إلى نصيين. ولم يعترض أحد على هذا الاختيار، لحسن سيرته وغزير علمه. وتمّ تنصيه يوم الأحد ٢٦ ديسمبر / كانون الأول سنة ١٠٠٨ م.

٣. نشاطه الفكري

ولما وصل إيليا نصيين، وجد في المطرانية مكتبة عامرة، علمية ودينية. فظلّ يتابع نشاطه الرعوي والروحي، ولكنه لم يهمل النشاط العلمي. وسار على خطى الآباء الأولين، الذين كانوا رجال زهد ورجال علم في آن واحد.

فأخذ يؤلف كتباً في شتى الميادين. وله مؤلفات قيّمة في اللغة، والتاريخ، والمنطق، والعلوم والفلسفة. كما أنّ له مؤلفات أدبية أخلاقية روحية ممتازة. وكتابه في تاريخ العالم، الذي وضعه سنة ١٠١٩ م باللغتين السريانية والعربية، كان من أفضل التواريخ المعروفة، حتّى أعجب به ابن أبي أصيمة صاحب كتاب طبقات الأطباء.

ولكنه اعتنى اعتناء خاصاً بالدفاع عن الدين المسيحي دفاعاً هادئاً، بعيداً عن روح المجادلات. فشرح عقائد النصرانية (الثالوث والتوحيد والتجسد، وقانون الإيمان، والأمور الأخرى الفلسفية المرتبطة بالدين) لصديقه الوزير أبي القاسم الحسين بن عليّ المغربي، ومن خلاله لكبار المفكرين الذين كانوا يقدون إلى مجلس الوزير.

وكان إذا هوجم، لا يهاجم، بل يدافع عن عقيدته بدون تعصب أو مجادلة كما فعل لما دافع عن العقيدة المسيحية أجمل دفاع رداً على رأي الجاحظ. ويكاد لا يخلو كتاب من كتبه من الطابع الدفاعي. وإن كان أسلوبه هادئاً ليئلاً، إلا أنّ أفكاره كانت دائماً جريئة، بعيدة كلّ البعد عن الخوف أو التعلّق.

٤ . علاقته بالوزير أبي القاسم

وفي يوم الجمعة ٥ يوليو / تموز من سنة ١٠٢٦ م، تمّ أوّل لقاء له بالوزير الشوير والأديب أبي القاسم الحسين بن عليّ المغربيّ. فنشأت بين الرجلين صداقة استمرّت حتى وفاة الوزير، يوم الأحد ١٥ أكتوبر / تشرين الأوّل ١٠٢٧ م (الموافق ١١ رمضان ٤١٨ هجرية). —

وكان كلّما حضر الوزير إلى نصيبين، يقضي أيامًا مع المطران، يستشير به في أموره الشخصية، ويعرض عليه مشاكله النفسية.

وإذا عاد الوزير إلى ميّافارقين، تبادل الرسائل الفكرية، في أمور الدين والدنيا. وتلك المراسلة بين المطران والوزير من أجل ما يمكن، إذ إنّها تعتبر ببساطة ووضوح عن مودّة وصداقة نادرتين.

ولا شكّ في أنّ تلك العلاقة قامت بدورًا هامّ في حياة إيليا. فكان الوزير يطلب رأيه في مواضيع مختلفة، ويحثّه على تأليف كتب في تلك المواضيع. وكتاب دفع الهمّ، على سبيل المثال، ثمره من تلك المراسلة. ومن ناحية أخرى، كانت تلك الصداقة أقوى حافز على الكتابة بحرية وحدوء. كما أنّ أسئلة الوزير العديدة في العقيدة المسيحية دفعت المطران إلى تأليف كتب يعرض فيها عقيدته.

وباليت تلك اللقاءات تتمّ اليوم بين المفكرين المسيحيين وغيرهم، لكي يخرج كلّ طرف من العزلة التي يعيش فيها، فيتعمّق في مفهوم إيمان صديقه. فالمجادلات لا تجدي، والردود لا تهدي. أمّا العلاقات الشخصية الودّية، المقرونة بحسن النية، فهي نور على الطريق.

٥ . علاقته بأبي الفرج بن الطيّب

وكان إيليا بن السنّي صديق أبي الفرج عبد الله بن الطيّب^(٢)،

(٢) عن سيرة ابن الطيّب راجع الأب سمير خليل: «أبي الفرج بن الطيّب، دفاع عن العلم»، في: رسالة الكنيسة ٤ (١٩٧٢) ٢٥٥-٢٦٠ (١) [سيرته]؛ (٢) [نصّ=

المترقى بيغداد العام ١٠٤٣ م، ثلاث سنوات قبل إيليا.

ولما كان أبو الفرج أمين سرّ البطريك، كان من واجب كل مؤلف أن يرسل إليه نسخة من مؤلفاته، ليوافق عليها باسم البطريك. فهذا ما فعله إيليا المطران، بتواضع، بعد أن حرّر نصّ المجالس التي جرت بينه وبين الوزير أبي القاسم. يقول إيليا، في رسالة إلى أخيه أبي العلاء صاعد بن سهل:

«وَتَعَدَّ إِنَّمَا هَذِهِ الرِّسَالَةُ، أَيُّهَا الأَخُ الحَبِيبُ الحَبِيبُ (أَدَامَ اللهُ حِرَاسَتَكَ!)، رَأَيْتُ إِتْفَادَهَا (قَبْلَ وَثُوفِكَ وَغَيْرِكَ عَلَيْنَا) إِلَى الشُّيخِ الحَبِيبِ القَبِيسِيِّ المَلْفَانِ القَبِيلُوسِيِّ، أَبِي الفَرَجِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الطَّيِّبِ، كَاتِبِ قَلَايَةِ الحَبْلَقَةِ (أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ!)، وَمَسَأَلْتُهُ تَأْمَلَهَا وَذَكَرَ مَا عِنْدَهُ فِيهَا»^(٣).

ولما تسلّم أبو الفرج نصّ المجالس السبعة، تأمل موضحها، ووقع عليها بخطّ يده قائلاً: «قرأتها، ودعوت لبقاء قدس آيينا المعظم (صلواته على العالم!). وهي على الحسن والصحة والموافقة للكتب اليعبية. ولا يمكن من يحبّ الحقّ أن يدفع لفظة منها»^(٤). ثمّ أتى على المطران إيليا بشيء يفوق الحدود، بل فيه شيء من المبالغة.

٦. نهاية حياة إيليا

وقد تابع إيليا نشاطه العلمي والثقافي، إلى جانب خدمته الرسولية، طوال عشرين سنة. فإنه ألف، في تلك العدة، أكثر من عشرة مؤلفات، باللغة العربية، إضافة إلى ما وضعه باللغة السريانية.

وفي يوم الجمعة ١٨ يوليو / تموز سنة ١٠٤٦ م، توفي إيليا السني، في الثانية والسبعين من عمره، بعد أن دافع عن إيمانه أحسن دفاع.

٣. ابن أبي أصيبعة، [٢٠٥-٢١٠]؛ (٣) [مؤلفاته الطيبة]، ٣٦٨-٣٧٣.

(٣) نقلًا عن ثلاث مخطوطات (من دون الإشارة إلى القراءات): مخطوطة بيروت، المكتبة الشرقية رقم ٥٦٤، ص ٨٤؛ مخطوطة بيروت، المكتبة الشرقية رقم ٦٧٦، ص ٦٨؛ مخطوطة حلب، مكتبة الأب بولس سباط رقم ١١٣٠، ص ٣٦؛ مخطوطة قاتيكان عربي ١٤٣، ورقة ١٢٢ ب.

(٤) المرجع نفسه.

ثانيًا - التعريف عن الوزير أبي القاسم المغربي

وإذ ذكرت العلاقة الوثيقة التي ربطت إيليا بالوزير، وجب أن أذكر، بشيء من التفصيل، خبر ذلك الوزير، وخبر زيارته المكررة إلى المطران إيليا. فكان من مشاهير زمانه، وقد خصّه ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان^(٥) بترجمة واسعة، ويُرقى هناك نسبه إلى ملوك المعجم الساسانية^(٦).

١. مراجع عن الوزير أبي القاسم

إليك قائمة بأهم المصادر والمراجع عن الوزير أبي القاسم:

K. V. ZETTERSTEEN, art. «al-Maghribi», in: *El III* (Leyde 1936), p. 114 (Français) ou p. 117 (allemand)

○ كارل بروكلمن، تاريخ الأدب العربي (باللغة الألمانية)، ج ١ (الطبعة الأولى)، ص ٣٥٣-٣٥٤. وملحق تاريخ الأدب العربي، ج ١، الطبعة الأولى، ص ٦٠٠-٦٠١؛

Carl BROCKELMANN, *Geschichte der arabischen Litteratur* (Leyde: Brill, 1912) et *Supplementband I* 1943).

○ إعتاب الكتاب، ص ٢٠٦ (وفيه أنّ أول هروبه، كان من مصر إلى مكة).

○ فحول: البلاغة، ص ١٨٩.

○ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢١٠ (كحالة).

○ المامقاني، تنقيح المقال، ج ١، ص ٣٣٨ (كحالة).

○ محسن أمين العاملي، أعيان الشيعة ج ٢٧، (دمشق، من سنة ١٣٥٣/١٩٣٥) ص ٦ و ٢٧.

(٥) راجع ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، رقم ١٨٥، ج ١ (القاهرة، ١٣١٠ هـ)، ص ١٥٥-١٥٦.

(٦) الأب لويس شيخو، في المشرق ٢٠ (١٩٢٢) ص ٤٣٤.

- البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ج ١، (استبول، ١٣٦٤/١٩٤٥)، ص ٤٩، ١١٧؛ ج ٢ (استبول، ١٣٦٦/١٩٤٧)، ص ٣٠٤، ٣١٥، ٤٣٠، ٥٦٧.
- الثعالبي، تنمة اليثيمة، ج ١، ص ٢٤-٢٥.
- الخوانساري: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، أربعة أجزاء في مجلّد واحد، الطبعة الثانية على الحجر ١٣٠٧ هـ، ص ٢٤١.
- ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، (حيدرآباد، ١٣٣١ هـ)، ج ٢، ص ٣٠١.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، رقم ١٨٥، ج ١ (القاهرة، ١٣١٠ هـ)، ص ١٥٥-١٥٦؛ وطبعة أخرى، ص ١٩٥-١٩٧.
- حاجي خليفة، كشف الظنون، (استبول، ١٩٤١)، ص ١٠٨، ١٢٩، ٢١٦، ٨١٤، ١٤٤١، ١٥٧٣.
- سامي الدخان، كتاب السياسة للوزير المغربي، (دمشق: منشورات المعهد الفرنسي، ١٩٤٨).
- فؤاد سيّد، فهرس المخطوطات المصوّرة بجامعة الدول العربية، ج ١، (القاهرة، ١٩٥٦-١٩٥٧)، ص ٣٧١.
- فؤاد سيّد، فهرس المخطوطات المصوّرة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ج ١، (القاهرة، ١٩٥٤)، ص ٤٢١.
- لطفي عبد البديع، فهرس المخطوطات المصوّرة بجامعة الدول العربية، ج ٢، (القاهرة)، ص ٤٠.
- لويس شيخو، مجالس إيليا مطران نصيين، في: المشرق ٢٠ (١٩٢٢) ص ٤٢٥-٤٣٤، هنا ص ٤٣٤.
- المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (القاهرة، ١٣٢٧ هـ).
- النجاشي (أحمد بن علي)، الرجال، (بمبي، ١٣١٧ هـ)، ص ٥١.
- الباقمي، مرآة الجنان، ج ٣، (حيدرآباد، ١٣٢٧-١٣٣٩ هـ)، ص ٢٢، ٣٣.

- o ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بـ معجم الأديباء، سبعة أجزاء، طبعة مرجليوث MARGOLIOUTH، (القاهرة، ١٩٠٧-١٩٢٥)، ج ٤، ص ٦٠-٦٤.
- o لويس شيخو، في المشرق ٢٠ (١٩٢٢)، ص ٣٤٣.

٢. حياة الوزير أبي القاسم

ولد أبو القاسم الحسين، المعروف بابن علي المغربي، في القاهرة، يوم الأحد ١٩ يونيو / حزيران سنة ٩٨١ م، فهو أصغر من إيليا بست سنوات.

وكانت أسرته قد خدمت الدولة الفاطمية سنين عديدة. ثم غضب عليهم الحاكم بأمر الله، فقتل أباه وعمه وأخوته، يوم ١٩ يوليو / تموز سنة ١٠١٠ م (٤٠٠ هـ)، ولم ينج من تلك المذبحة إلا أبو القاسم.

فهرب أبو القاسم إلى الرملة، ثم إلى الحجاز. وأثار أصحابها على الحاكم بأمر الله، حتى خاف الحاكم على ملكه. ثم قصد العراق هارباً من الحاكم، والتجأ إلى الوزير «فخر الملك أبي غالب». وتولى في العراق، ولا سيما في الموصل، عدة أعمال. وقلده الملك «مشرف الدولة» البريبي الوزارة ببغداد.

وأخيراً، قصد «نصر الدولة أحمد بن مروان» الكردي، صاحب ديار بكر وميافارقين. وكان هذا الأسير أشهر أمراء بني مروان، ملك خمسين سنة، فكانت دولته في ازدهار وسلام. وجمع في عاصمته (ميافارقين) العلماء والأدباء والزهاد، كما أنه أوى لاجئين عديدين. وتوفي سنة ١٠٦١ م^(٧).

فوزَّره «نصر الدولة» عندما أتى إليه لاجئاً. ثم مرض أبو القاسم سنة

(٧) بشأن الأمير نصر الدولة، راجع:

أ - مقالة هنري باون (Bowen)، في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى)، تحت كلمة «نصر الدولة» في الجزء الثالث (الطبعة الفرنسية، ص ٩٣٥-٩٣٦) =

١٠٢٧ م. وتوفي يوم الأحد ١٥ أكتوبر / تشرين الأول سنة ١٠٢٧ م.
فنقلت جسده إلى الكوفة برصبة منه، ودفن في تربة مجاورة لمشهد الإمام
علي، إذ كان من كبار أهل الشيعة.

٣. مؤلفات الوزير أبي القاسم وثقافته

- وكان أبو القاسم أديباً شاعراً، له ديوان شعر. ومن تأليفه الكتب الآتية:
 - سيرة النبي، اعتمد في تأليفها على سيرة ابن هشام؛
 - كتاب الإيناس بعلم الأنساب (ذكره ابن خلكان قال: «وهو، مع صغر حجمه، كثير الفائدة وبدل على كثرة اطلاعه»؛
 - كتاب في السياسة (ذكره إيليا النصيري)؛
 - أدب الخواص في المختار من بلاغة قبائل العرب وأخبارها وأنسائها وأيامها؛
 - ديوان شعر (وهو الذي وجه إليه أبو العلاء المعري رسالة المنيح)؛
 - إختيار شعر أبي تمام.
 - إختيار شعر البحتري.
 - إختيار شعر المتنبي والظعن عليه.
 - كتاب المنخل، وهو مختصر إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكيت^(٨)؛
 - كتاب المأثور في ملح الخلدور؛
 - كتاب الفهرست لابن النديم (وهو من أشهر فيارس الكتب)، نشره ولم يؤلفه.

= الطبعة الألمانية ص ٩٤٥-٩٤٦ (٩٤٦).

ب - مقالة ك. ف. زترستين (Zettersteen) في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الفرنسية الأولى، ص ٣٥٦-٣٥٧)، تحت كلمة «Marwanides».

(٨) ابن السكيت (يعقوب أبو يوسف) (٨٠٣- نحو ٨٥٩): إمام في اللغة والأدب. ولد في بغداد. كان يعلم صيان العامة. درس على أبيه وعلى أئمة اللغة وعلى الأعراب في الياضية. عينه الخليفة المتوكل مؤدباً لابنه المعتز ثم أماته ضرباً. له إصلاح المنطق، الألفاظ، القلب والإبدال، الأضداد (متجدد الأعلام ٢٠٠٢، ص ٩).

هذا كله يدل على ثقافة الوزير، واهتمامه بالتراث العربي القديم رغم انشغاله بأمور السياسة. ولذلك نراه يستشير المطران إيليا في أمورٍ مختلفة، إذ كان واسع الآفق، مظنعا على الديانات جميعها، ميالا إلى كل الأفكار المتداولة في أيامه. فكان من فئة «الإنسانيين» (Humanistes) كما تقول اليوم، أولئك الأدباء العلماء المنفتحين على كل ما يخص «الإنسان» ومسانله ومشاكله. لذلك أحب مرسله المطران إيليا.

٤. زيارات الوزير إلى نصيين

وفي العام ١٠٢٧، وهو الأخير من حياة أبي القاسم، جاء الوزير إلى نصيين ثلاث مرّات. واجتمع كل مرة مع إيليا المطران:

١. وكانت أول زيارته له إلى نصيين يوم ٥ يوليو / تموز ١٠٢٦ م، ومكث فيها حتى أول أغسطس / آب. وفي هذه المدة اجتمع سبع مرّات بإيليا، وتناقشا في مواضيع شتى. ثم وضع إيليا محضر تلك المناقشات في كتابه الشهير المسمى كتاب المجالس^(٩).

أما موضوع المناقشات، فهو غالبا ديني. ويدور حول التثليث والتوحيد، وتجسد الكلمة، وصحة الديانة المسيحية، ورأى القرآن في المسيحية، وتوضيح إيمان النصارى، وغيرها من الأمور الدينية. وهناك مواضيع أخرى مهمة، كالموازنة بين اللغة العربية واللغة السريانية^(١٠)، ورأى النصارى في الفلسفة وعلم الكلام والنفس، ورأيهم في أحكام

(٩) نشره الأب لويس شيخو تحت عنوان: «مجالس إيليا مطران نصيين» تباعا في مجلة المشرق ٢٠ (١٩٢٢)، ص ٣٣-٤٤ و ١١٢-١٢٢ و ٢٦٧-٢٧٢ و ٣٦٦-٣٧٧ و ٤٢٥-٤٣٤.

(١٠) حققت هذه الموازنة، وهو المجلس السادس ونشرتها مع ترجمة فرنسية ونعاليق في مقالين من مجلة *Mélanges de l'Université Saint-Joseph*. راجع:

a) Samir Khalil SAMIR, «Deux cultures qui s'affrontent: une controverse sur l'arab au XI^e siècle entre Élie de Nisibe et le vizir Abū l-Qāsim», in:

MUSJ 49 (1975-1976), p. 619-649;

النجوم، وفي اعتقاد المسلمين، وما إلى ذلك. وهذه المجالس تعطينا فكرة واضحة عن اهتمامات الوزير وتطلعاته الثقافية والدينية.

٢. ثم عاد الوزير أبو القاسم إلى نصيبين مرة ثانية، يوم الخميس ٣١ ديسمبر / كانون الأول سنة ١٠٢٦ م. وكان آنذاك بصحبة الأمير نصر الدولة. فمكثا في نصيبين ٢٥ يوماً حتى تاريخ ١٤ يناير / كانون الثاني سنة ١٠٢٧ م. وجرت أيضاً بين الوزير والمطران «مذكرات ومساائل عدّة: في اعتقاد اليهود، وتاريخ آدم، وغيره من التواريخ القديمة، وتغيير اليهود لها، وفي الآثار العلوية، وغير ذلك مما يطول شرحه»^(١١).

٣. وعاد مرة ثالثة إلى نصيبين، يوم الأحد ٢٥ يونيو / حزيران سنة ١٠٢٧ م، ومكث فيها عشرة أيام فقط. وكان يحسن بوجع في أحشائه. وإذا كان الشيخ أبو سعد (أخو المطران إيليا) طبيب الوزير، شكّا الوزير إلى المطران إعمال أخيه أبي سعد.

فاستفسر المطران أخاه عن سبب إعماله، فأجابه الشيخ أبو سعد أنّ مرض الوزير لا علاج له ولا شفاء فيه. وبالفعل، عاد الوزير أبو القاسم في شهر يوليو / تموز إلى ميّافارقين، حيث توفي يوم الأحد ١٥ أكتوبر / تشرين الأول سنة ١٠٢٧ م.

ولقد ذكرت أهميّة تلك اللقاءات التي جرت بين الوزير والمطران، إذ لم يكن لها ردّ فعل على الطرفين المعنيين وحسب، بل على أصدقائهما أيضاً.

كما أنّ تلك اللقاءات والمراسلة التي استمرت بين لقاء ولقاء، كان لها دور كبير في حياة إيليا بن السّي، فعلمته متى يجب المناقشة، ومتى يستحسن الصمت؛ وإذا تكلم، كيف يجب أن يتحدّث. وأعطته تلك الميزة النادرة عند كلّ من يمارس الحوار، ألا وهي الاستماع إلى الطرف

b) IDEM, «Langue arabe, logique et théologie chez Élie de Nisibe», in:

MUSJ 52 (1991-1992), p. 227-367.

(١١) راجع المجلس السابع، طبعه الأب لويس شيخو، في المشرق ٢٠ (١٩٢٢) ص ٤٣١.

الآخر، لا للردّ عليه، بل لفهم آرائه وإبداء رأيه بهدوء ولطف. وسنرى مثلاً لذلك في المقطع اللاحق.

ثالثاً - أبو القاسم الوزير يطلب دعاء الرهبان من أجله، وإيليا المطران يرده عليه

١. أسلوب إيليا في الحوار

عندما ذكرنا معالم حياة إيليا بن السّبي مطران نصيين قلنا إنّه «اعتنى اعتناءً خاصاً بالدفاع عن الدين المسيحيّ دفاعاً هادئاً، بعيداً عن روح المجادلات»؛ وأضافنا في ما بعد: «وإن كان أسلوبه هادئاً ليّناً، إلّا أنّ أفكاره كانت دائماً جريئة، بعيدة كلّ البعد عن الخوف أو التملّق»^(١٢).

وما نحن نذكر نصّاً صغيراً يوضح تلك الفكرة. وهو نصّ مناقشة جرت بين إيليا والوزير أبي القاسم، يوم الخميس ٢٩ يوليو / تموز سنة ١٠٢٦ م، وموضوعها «الدعاء من أجل احتياجات الناس».

أما سبب ذلك الطلب، فهو أنّ أبا القاسم كان قد طلب من المطران، قبل ان ينطلق من عنده ليعود إلى ميافارقين، أن يكلف الرهبان بالدعاء من أجله. وهذا طلب بسيط، فضلاً عن أنّه طلب روحيّ، مرتبط ارتباطاً وثيقاً بصميم رسالة الرهبان. فكان من المفروض أن يلبي المطران دعوة الوزير فوراً، بل أن يشكره شعوره الطيّب وسجوده إلى الرهبان لتتقرّب من الله.

ولكنّ المطران لم يستجب إلى سؤله، إلّا بعد أن أوضح له معنى هذا الدعاء، وأرسله إلى صلاح النية في ما يطلبه. وعندما توصل الوزير إلى تلك الحالة الروحية الباطنية، حيث لا يرغب في شيء مادّي، ولا يفضل أمراً على غيره من الأمور، بل يرغب في تميم إرادة الله عليه، عندئذٍ، رضي المطران أن يكلف الرهبان الدعاء من أجل الوزير.

(١٢) راجع أعلاه: أزلأ، المقطع الثالث.

وهذا مثال لطيف يوضح طريقة المطران إيليا في تعامله مع الوزير أبي القاسم، ومع كلِّ مَنْ عاشره. فهو يسلك طريقاً صعبةً، إذ هي الطريق الوسطى: لا يغلُق الباب في وجه مَنْ قرعه، بأن يهاجمه أو يعاديه، ولا يعمل كأنَّ لا باب للدخول، بأن يحاول أن يكتم عقائده ومفاهيمه. بل يوضح إيليا الأمور تمام الإيضاح، بلطفٍ وهدوء، حتى يجعل مخاطبه يتفهّم قصده، ويراجع نفسه فيتعمّق في حياته. وهذه هي روح الحوار الحقيقيّة.

أرشدنا الله إلى الامتثال بهذا المطران العالم القدّيس...

٢. مثال من «كتاب المجالس»

إنَّ النصَّ الذي تقدّمه مقتبس من المجلس السابع من كتاب المجالس. وكان قد نشره الأب لويس شيخو اليسوعي في مجلة المشرق البيروتية، سنة ١٩٢٢. ولكنّا آثرنا أن نحقق النصَّ بنفسنا، على المخطوطين المحفوظين في «المكتبة الشرقية» للأباء اليسوعيين في بيروت. وقتمناه بحسب عادتنا إلى أجزاء صغيرة.

وها هي الرموز المتعملة في الحواشي:

- أ = مخطوط بيروت رقم ٥٦٤، ص ٨٠-٨١
- ب = مخطوط بيروت رقم ٦٧٦، ص ٦٢-٦٤
- ش = طبعة شيخو في المشرق ٢٠ (١٩٢٢)، ص ٤٣٠-٤٣١

آ - الْمُقَدِّمَةُ: طَلَبُ التَّوَزِيرِ

١ نَمَّ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ تُكَلِّفَ^(١٣) الرَّهْبَانَ الْفُضَّلَاءَ، فِي الْأَعْمَارِ^(١٤) الَّتِي تَحْتَ يَدِكَ وَيَبَالِقُرْبِ مَنَّا، أَنْ يَدْعُوا^(١٥) لِي، وَتَسْأَلُوا^(١٦) اللَّهَ مُسَاعِدَتِي عَلَى أُمُورِي.

(١٥) أب : يدعوه

(١٦) أب : ويسألون

(١٣) ب : اكلف

(١٤) ش : + والأديرة

ب - تَبِيَهُ إِلَيْنَا

2 قُلْتُ: إِنَّ الرُّخْبَانَ لَيْسَ يَدْعُونَ لِلْإِنْسَانِ بِأَنْ يُطِيلَ اللهُ عُمرَهُ، وَلَا أَنْ يَزِيدَ مَالَهُ، ^(١٧) وَلَا أَنْ يُوقَّرَ جَاهَهُ ^(١٧)، وَلَا أَنْ يُكَيَّرَ نَسْلَهُ.

3 وَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ اللهَ أَنْ يَصْنَعَ بِهِ مَا لَهُ فِيهِ الْخَيْرَةُ، وَقَعَ ذَلِكَ بِمُؤَافَقَتِهِ أَمْ لَمْ يَقَعْ، وَأَنْ يُضْلِحَ نَيْتَهُ، وَوُفَّقَهُ لِبَطَاعَتِهِ ^(١٨). فَإِنَّ بِصَلَاحِ ^(١٩) النَّيِّ وَالرُّؤْفِيقِ، يَكُونُ صَلَاحُ الشَّانِ وَتُلُوعُ الْأَمْلِ.

4 لِأَنَّ الْإِنْسَانَ، إِذَا كَانَ مُوَفَّقًا وَجَيِّدًا ^(٢٠) النَّيِّ، لَيْسَ ^(٢١) يُؤْمِلُ ^(٢٢) وَلَا يَتَمَنَّى إِلَّا مَا يَبْلُغُهُ وَيَصِلُ إِلَيْهِ. وَلَمْ ^(٢٣) يَتَأَسَّفْ عَلَيْهِ، إِذَا فَاتَهُ، تَأَسَّفًا يُؤْلِمُ قَلْبَهُ.

5 فَإِنَّ كَانَ الرَّؤْيِرُ (أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ) ^(٢٤) يَتَّبِعُ ^(٢٤) مِنِّي بِذَلِكَ، تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِمْ ^(٢٥) بِمُؤَاصَلَةِ الدُّعَاءِ لَهُ ^(٢٦). فَإِنَّ ^(٢٧) رَامَ الْأَشْيَاءَ الْأُخْرَى، فَلَا يُسْوِمُ الْقَوْمَ مَا لَيْسَ ^(٢٨) بِشَائِعٍ عِنْدَهُمْ.

ج - جَوَابُ الرَّؤْيِرِ

6 قَالَ الرَّؤْيِرُ: إِنَّ الَّذِي أُرِيدُهُ وَأَتَمَّنَّاهُ، لَيْسَ ^(٢٩) هُوَ ^(٣٠) أَحَدُ أَمْرَيْنِ: إِمَّا عِزٌّ فِي الْعَايَةِ، وَإِمَّا زُهْدٌ فِي الْعَايَةِ.

7 ^(٣١) فَأَمَّا الزُّهْدُ، فَلَيْسَ ^(٣١) أَطْمَعُ فِيهِ ^(٣٢). لِأَنَّ ^(٣٣) عَادَتِي قَدْ جَرَتْ

(١٧) أ ش :	-
(١٨) ش :	إلى طاعته
(١٩) أ ب :	صلاح
(٢٠) ش :	جيد
(٢١) ش :	لا
(٢٢) ب :	نومل
(٢٣) أ ب :	لم
(٢٤) أ ش :	يتتبع
(٢٥) ش :	إلى رهباننا
(٢٦) أ :	(٢٦) أ
ب :	له به
(٢٧) ب :	وان
(٢٨) ب :	+ هو
(٢٩) أ ب :	-
(٣٠) ش :	-
(٣١) ش :	فإني لا
(٣٢) ش :	في الزهد
(٣٣) أ :	لا

بِكثْرَةٍ مِّنْ يَخْدُمُنِي، وَالرَّاهِدُ يَحْتَاجُ^(٣٤) أَنْ يَخْدُمَ نَفْسَهُ. وَهَذَا مِمَّا لَا سَبِيلَ
إِلَيْهِ.

8 وَأَمَّا الْعِزُّ، فَتَنْفِي تَهْرَاهُ وَتَمَنَّاهُ. رَمَعَ قَلْبَهُ طَمَعِي فِيهِ، لَسْتُ^(٣٥)
أَنَا^(٣٦) بِمُؤَيِّسٍ^(٣٧) (كَذَا) مِنْهُ.

9 وَإِذَا كَانَ الرَّهْبَانُ لَيْسَ^(٣٨) يَدْعُونَ لِلْإِنْسَانِ بِمَا يَتَمَنَّاهُ مِنْ أُمُورِ
الدُّنْيَا، فَأُرِيدُ أَنْ يَدْعُوا^(٣٩) لِي بِمَا فِيهِ الْخَيْرَةُ. قَرَيْمًا^(٤٠) كَانَتْ الْخَيْرَةُ
مَقْرُونَةً بِضِدِّ مَا أَتَمَّنَّاهُ.

د - الْحَايِمَةُ: تَحْقِيقُ طَلَبِ الْوَزِيرِ

10 فَأَجَبْتُهُ إِلَى مُتَمَيِّو.

11 وَكَانَ قَبْلَ مَسِيرِهِ مِنْ تَصْيِينِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. وَكَانَ قَدْ جَرَى لِي مَعَهُ
(فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ) كَلَامٌ فِي مَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِأَخْلَاقِ النَّصْرِ، وَأَدَابِ الرَّهْبَانِ
وَالزُّهَادِ، وَالْعُلُومِ^(٤١) الْعَقْلِيَّةِ، مَا^(٤٢) تَجَبَّبْتُ ذِكْرَهُ لَطَوِيلِهِ^(٤٣).

12 وَبَعْدَ مَسِيرِهِ، اجْتَمَعْتُ مَعَ الرَّهْبَانِ فِي الْأَعْمَارِ الْمَحْرُوسَةِ،
وَخَاطَبْتُهُمْ فِي مَا كَانَ النِّتْمَةَ^(٤٤). فَتَوَارَدَ^(٤٥) جَمِيعُهُمْ بِالذُّعَاؤِ بِأَنْ يَضَعَّ
اللَّهُ إِلَيْهِ مَا لَهُ وَلِلنَّاسِ فِيهِ الْمَضْلَعَةُ الشَّامِلَةُ.

(للمقال صلة)

(٣٤) ش : + إلى	(٤١) ش : وبالعلوم
(٣٥) أ ب : ليس	(٤٢) ش : متا
(٣٦) ش : -	(٤٣) ب : (مكتوبة في البامش، بخط آخر)
(٣٧) ش : مؤيِّسًا	(٤٤) ش : + الوزير
(٣٨) ش : لا	(٤٥) ش : فتواردوا
(٣٩) أ ب : يدعون	
(٤٠) ش : وإن	